السنة الثالثة عشرة — العدد ٦ — حزيران سنة ١٩١٠

المشرق

الكلّيّات الكاثوليكيّة في المعمور

نظر للاب لويس رنزفال اليسوعيّ

في المدارس تُنشأ في أنحاء المعمور تحيي البلاد بالمعارف وترفع العباد عن الدقعاء. فيعرف المرء انهُ بعقلهِ خصوصاً انسان ليس بجسمهِ الذي لا يفرزهُ عن العجماء. على انَّ تلك المدارس مهما أتسع فيها نطاق العلوم وراجت اسواق المعارف فانها لا تأتي بالثمار المقصودة ما لم يُحيِ الدين تلك العلوم البشريَّة ويوقف الانسان على مصدر كل علم واصل كل حكمة سبحانهُ وتعالى الذي دعا نفسهُ في الكتاب الكريم (١ملوك ٢: ٣) ربَّ العلوم. وان فُصل الدين عن العلم انتفخ بهِ الانسان على قول الرسول المصطفى (١ كور ٨: ١) واصبح علمهُ لهُ آفةً بمثابة سيفٍ يلعب بهِ الجاهل فيُسيء استعمالهُ ويجرح بهِ نفسهُ. ولهذا السبب قد اعتادت الشعوب ان تعهد الى ارباب الدين تثقيف عقول الاحداث لعلمهم «بانَّ شفتَي الكاهن تحفظان العلم» كما يقول النبي ملاخي (٢: ٧) وعلى الاخصّ لكي يُعنى الكهنة بترويض النفس على الآداب بينما يهذّبون العقل ويزيّنونهُ بالمعارف

وان ألقينا النظر الى تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة وجدنا عنايتها منذ اجيالها الاولى مصروفةً الى تنظيم المدارس وقتل الجهل في عقول ذويها وذلك حتى في أيام الاضطهادات والضغط على النصرانية. ولنا على ذلك برهان جليل في مدرسة الاسكندريّة حيث اشتهر اولئك الاساتذة الكبار بَنتان واقليميس الاسكندري واوريجانس المعلّم. وما بقي من آثارهم حتى اليوم دليل قاطع على مجاراتهم لمشاهير زمانهم

وما نالت الكنيسة حرّيتها بانتصار قسطنطين الكبير حتى نهضت بهمّة عظيمة لنشر العلوم في كل انحاء المسكونة. فبفضلها أُنشئت تلكَ المدارس الكبرى في حواضر البلاد التي قامت بدلًا من مدارس اليونان والرومان وأدّت للعلوم خدماً مشكورة لولا انّ امم البرابرة زحفت كسيل جحاف على جهات اوربة وافنت آثار تلك المعاهد فقُضي على الكنيسة ان تعود الى العمل فتُحيي ما دثر من رسوم العلوم فكانت الرهبانيّات الكاثوليكيّة لاسيما الرهبانيّات البندكتيّة اكبر مساعد على ادراك هذه الغاية الجليلة ولولاها لفُقد معظم ما اتّصل بنا من آثار قدماء الفلاسفة وائمّة العلماء

امّا البلاد الشرقيّة فانّها اشدّ ما كانت مديونة للكنيسة في حفظ كنوزها العلميّة فكانت كبار مدنها كصروح للمعارف يقصدها كل من يبغي الاستقاء من مواردها. فانّ مدارس القسطنطينيّة وفلسطين والشام ومصر كانت كلّها تزدحم فيها الطلبة وبُقيت على ازدهارها الى ظهور الاسلام. ومثلها مدارس بلاد الجزيرة وما بين النهرين وعلى الاخصّ مدرستا الرها ونصيبين اللتان اصبحتا في الشرق كنارتين ساطعتين اكتحل بانوارهما الوفٌ من الدارسين. وقد وُجدت في هذه السنين الاخيرة رسومها وقوانين دروسهما التي تدلُّ على سعة فضل رؤسائهما. وقد جرت على تلك الآثار الطيّبة مدارس اخرى متعدّدة في جهات غيرها حتى تخوم العجم وانحاء الارمن وحدود الهند

ولمّا خمدت حركة الامم الفاتحة التي انحدرت من بلاد الشمال وتقسّمت بينها مملكة الرومان في اطراف اوربة ورجعت مياه السلام الى مجاريها أسرعت الكنيسة الى تشييد صروح العلوم ورفع منارها رغمًا عما وجدتهُ في قلوب تلك الطوائف المستجدّة التي كان جلُّ همّها التهوُّر في معامع الوغى وايقاد سعير الحروب. ولا يسعنا هنا ان نصف المدارس التي نالت شهرة منذ القرن السابع الى الحادي عشر وتولّى انشاءها الاحبار الرومانيّون وارباب الدين في ايطالية وفرنسة واسبانية وانكلترة والمانية. فانّ لمدارس تلك البلاد تاريخًا لا نستطيع في الحاضر الخوض فيه لسعة نطاقهِ وانّما نقول بالاجمال انّ العلماء الذين شرّفوا تلك الاعصار انّما تخرّجوا في المدارس التي كانت بجوار كل دير من أديار الرهبان او في حمى الكنائس. وقد خلّفوا لنا من التآليف عددًا وافرًا فمنها ما اخذتهُ يد الضياع ومنها ما نجا من تيّار الزمان فيشهد لاصحابها بسموّ المدارك وتوقّد الاذهان فتكاد لا تجد بابًا من ابواب المعارف البشريّة الّا طرقوهُ ولئن لم يبلغوا شأو الذين

اتوا من بعدهم فتوفّرت لديهم الوسائل واستفادوا من ذخائر علوم الاقدمين التي انقذتها الكنيسة من مخاليب الدهر (اطلب مقالة المشرق ٦ : ١٥–٥١ في الكنيسة والعلوم الفلكية)

على انّ تلك المدارس مع عظم شأنها لم تَفِ بحاجة العموم الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم رغبةً في طلب المعارف فسعى ارباب الدين بوضع الكلّيات يعلّمون فيها مجمل العلوم المعروفة في تلك الازمنة. فاتّفق الاحبار الرومانيّون وملوك الدول على انشاء تلك المعاهد على اصول ثابتة واوقفوا عليها الاوقاف الواسعة للقيام بنفقات اساتذتها فكانت كلّيّة بولونية في شمالي ايطالية اوّل مدرسة جمعت شروط الكلّيات. فأنشئت سنة ١١١١. وقد غلبتها شهرةً بعدها في اواخر القرن الثاني عشر كلّيّة باريس التي أضحت في مقدّمة الكلّيات بأساتذتها وحسن نظامها وسمعة المتخرّجين فيها. وعلى مثالها أنشئت كلّيّة اوكسفرد في انكلترة ثم تعدّدت الكلّيات حتى عمّت كل اطراف الممالك بل توفّرت في المملكة الواحدة حتى بلغت العشرات فانّ فرنسة وحدها قبل الثورة الكبيرة كانت تحتوي على عشرين كلّيّة. وكان لليسوعيين كلّيّات عديدة في بلاد شتّى يتزاحم فيها الطَلَبة لحسن تدبيرها وشهرة اساتذتها

امّا نظام تلك الكلّيات وما كان يُلقى فيها من الدروس فكانت تختلف مع البلاد لكنّ العلوم التي كانت تُدرس عادةً في تلك الكلّيات كانت تدخل في احد هذه الفروع الخمسة اي الآداب (البيان والخطابة والفلسفة) والعلوم الطبيعيّة والفقه الديني والمدني والطب واللاهوت . وكان الدارسون في الغالب يجتمعون في احياء خاصّة بهم على اختلاف جنسيّاتهم واذا انهوا دروسهم قدّموا الامتحانات عنها فنالوا الشهادة عليها

وبقيت تلك الكلّيات قروناً عديدة تؤدي للمعارف اجلّ الخدم الّا انّ البعض منها بدسائس المبتدعين سعت شيئاً فشيئاً بأن تستقلّ من نظارة الكنيسة وتدبّر امورها على هواها فدخلها روح الاستبداد وجاهرت بمناصبة ارباب الدين فلمّا قامت الثورة في اواخر القرن الثامن عشر وقلبت اوربّة ظهراً لبطن ذهبت ايضاً بكثير من تلك الكلّيات وقام بدلًا منها في الدول المستحدثة كلّيات أخرى مبنيّة على المبادئ الجديدة النافية للدين او المضيّقة عليه فلا تجمل لتعليمه الّا المقام الثانوي

فرأى الكاثوليك في هذه الحالة اجحافاً بحقوقهم ونهضوا في عدّة بلاد ليتلافوا

الامر وفتشوا الكليّات الحرّة التي يحامون فيها للدين مقاومة اللائق بشأنهِ فيتعلّم فيها الطلبة العلوم الدينيّة الكاثوليكيّة كعلم الكلام واللاهوت وعلم الحق القانوني والعلوم الكتابيّة والتاريخ الكنسي ثم العلوم الدنيويّة ايضاً كالفلسفة والطبّ والحقّ المدني والآداب واللغات الشرقيّة والعلوم الطبيعيّة دون ان يُدسّ في تعليمها شيء من الاضاليل التي اعتادت المدارس العصريّة ان تنفثها بحجّة العلم والعلم منها مناط الثريّا

ولم يخفَ على الكاثوليك ما تقتضيه تلك الكليّات من النفقات الطائلة والضحايا المتنوّعة فلم يثبط ذلك عزائمهم وشمّروا عن ساعد الجدّ وافرغوا كنائن المجهود حتى اخرجوا مقاصدهم الى حيّز الفعل وانشأوا نحو ثلاثين مدرسة جامعة في بلاد مختلفة تراها اليوم رغماً عن مزاحمة الحكومات وتوفّر ماليّاتها والوسائل التي لديها زاهرة نامية لا ينقصها شيء من اسباب الرقي والتقدّم. وها نحن نسرّح الابصار في تلك الكليّات ليعرف قرّاؤنا ما للدين من القوة في المشاريع العظمى وكم للايمان من الفعل العجيب اذا ما قام العمل. ونتّخذ لهذا النظر قائداً احد مشاهير كتبة الفرنسويين السيّد بودريلار رئيس الكليّة الكاثوليكيّة في باريس فانّهُ لما حضر اليوبيل الالماسي الذي احتفلت بهِ كليّة لوفان في العام الماضي وضع كتاباً خصوصياً وصف فيهِ الكليّات الكاثوليكيّة المنشأة في القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين في فرنسة والخارج (١

*

اوّل كليّة كاثوليكيّة أزهرت في القرن التاسع عشر هي الكليّة الغريغوريّة المعروفة ايضاً بالمدرسة الرومانيّة كان اقامها البابا غريغوريوس الثالث عشر في القرن السادس عشر ووكل ادارتها الى الآباء اليسوعيين فبقيت في ايديهم مائتي سنة عامرة زاهرة وسقطت بالغاء رهبانيّتهم. فلما بعث البابا بيوس السابع الرهبانيّة اليسوعيّة من قبرها في العشر الثاني من القرن التاسع عشر عادت الى ادارة تلك الكليّة وبلّغتها اوج الفخر بتعليمها وفيها علّم الطبيعيّات والهيئة رجال يُعدّون من اكبر رجال العصر كالاب ڤيكو (Vico) والاب پيانشياني (Pianciani) والاب سكّي (Secchi) الذي

---

١) يعنا هو اسم الكتاب: **Mgr. Baudrillart** : Les Universités Catholiques de France et de l'Etranger. *Paris*, *Poussielgue*, 1909. pp. 120.

مرّت في الشرق (٦ : ٦٦١) ترجمتهُ . ولمّا ضبطت الحكومة الايطاليّة سنة ١٨٧٠ تلك المدرسة اقام اليسوعيّون كلّيةً حرّةً في محلّ آخر واضطرّوا الى ان يدرّسوا فيها العلوم الدينية العليا فقط ومع تلك المعاكسات تُعدّ هذه المدرسة اليوم من اعظم الكلّيات الكاثوليكية يبلغ عدد تلامذتها ١٥٠٠ طالب يقصدونها من كل اقطار العالم

وفي العام الماضي انشأ بيوس العاشر ذلك المكتب الكتابي المنوط بتعليم الكتاب المقدّس وبكلّ العلوم اللاحقة بهِ وانتدب الى تدبيرهِ ايضاً الآباء اليسوعيين فيُعتبَر هذا المكتب منذ الآن بمثابة كلّية جديدة تُبنى عليها اطيب الآمال

والكلّية الثانية التي أُنشئت في اوربة بعد تجديد الكلّية الرومانية انما كانت كلّية لوفان من اعمال بلجكة . هذه المدينة ايضاً اشتهرت في القرون السالفة بكلّيتها التي ازهرت مدّة اربعمائة سنة واندثرت رسومها بعد الثورة الفرنساويّة وانضمام البلاد الى هولندة . فلمّا تحرّرت من ربقة البروتستانت اسرع الحزب الكاثوليكي الى انشاء كلّية كاثوليكية محضة في لوفان سنة ١٨٣٤ . ولتذكار هذا العمل الجليل اقام الكاثوليك البلجكيّون في شهر أيار من السنة المتصرمة اعيادًا شهيّة دعوا اليها كل الكلّيات فاجاب الى دعوتهم ارباب تلك النوادي العلمية حتى البروتستانت ولم يردّ الدعوة غير الكلّية الباريسية المعروفة بروحها المداني للدين

وكان لتلك الحفلات من الرونق والأُبهة والعظمة ما ألجأ اعداء الكنيسة انفسهم الى الاقرار بانَّ للكثلكة مقامًا رفيعًا لا يجاريها فيهِ احد . حتى انَّ جريدة ليناج (Gazette de Liège) الكاثوليكية لم تجد اوضح دليل الى شرف الكثلكة من جمع اقوال اعداء الدين واقرارهم بمفاخر الكنيسة مرغومين

وقد ترأس تلك الحفلات الكردينال مرسيه (Mercier) رئيس اساقفة مالين وهو احد المتخرّجين في كلّية لوفان فخطب الخطب الدينية المتحمّسة التي رقصت لها قلوب الحضور فاستقبلوها باصوات البهجة والاستحسان وكان القاصد الرسولي الوفد من الحبر الاعظم و١٤ اسقفًا يحفّون بالكردينال ويولون ذلك المشهد ابهى رونق . وحضر تلك المراسم كل اساقفة بلجكة وكان يتصدّر في جملة الحضور ثمانية من وزراء الدولة البلجكية ببزّهم الرسمية واوسمتهم الشرفية وكلّهم من طلبة الكلّية النائلين شهادتها . وممّن

زيّنوا تلك الحفلات بحضورهم نوّاب نحو الف جمعيّة او شركة أنشأها رجالٌ من متخرّجي كليّة لوڤان اقبلت اليها وفودهم وبكلّهم شاراتهم وراياتهم الخاصة . وكان للرتب الدينيّة تلك الاعياد التقدُّم على سواها وعُقدت جلسات عموميّة بحثوا فيها عن احوال الكليّة وتاريخها ومفاخرها وتوسيع نطاقها

والحق يقال انَّ كلية لوڤان قد حقّقت كل امـاني الكاثوليك فانشأت فروعاً لتدريس كل العلوم الدينيّة والادبيّة والاجتماعيّة والعلميّة والفنيّة مع درس اللغـات الغربيّة والشرقية لم يفتها شيء من المعارف العصريّة والاكتشافات الحديثة وكل ذلك دون ان تتحمّل الأمة شيئاً من الضرائب كما ترى في كليات الحكومة الأُخرى وقد بلغ في السنة الاخيرة عدد الدارسين فيهـا ٢٣٠٠ يقوم بتدريسهم ١٢٠ استاذاً من ائمّة العلماء . وكانت جُمعت قائمة مؤلفاتهم في كل ضروب المعارف البشريّة فبلغت خمسة مجلّدات ضخمة أُضيف اليها اعمال التلامذة المتخرّجين على ايديهم . امّا مشاهير الرجال الذين نالوا شهادة تلك الكليّة فيبلغ الالوف بينهم ١٤ مطراناً او اسقفاً وعدد لا يُحصى من الكهنة والرهبان والعلمانيين والكتبة والاقتصاديين والصناعيين والمهندسين الذين بفضلهم استحقَّ وطنهم مع صغره ان ينظم بين كبار الدول

ولو اردنا ذكر بعض الذين تفتخر بهم الآداب في ايامنا من اساتذة لوڤان لأتسع بنا المجال وكفانا القول بانَّ اللغات الشرقيّة اصابت في لوڤان ما حقَّ لها من الاعتبـار بهمّة بعض المستشرقين البلجكيين كالسيّدين لامي (Lamy) وأبلوس (Abbeloos) للسريانيّة وفليكس ناڤ (F. Nève) للارمنيّة والسيّد دي هرلي (de Harley) للغة السنسكريتيّة والاب فُرجه (Forget) العربية وغيرهم كثيرين

وفي آخر يوم تلك الحفلات جرى الكاثوليك في موكب عظيم بكل أُبهة ونظام في شوارع المدينة ومرّوا امام رؤساء الدين فما انتهت الحفلة الّا بعد ثلاث ساعات كاملة عدُّها الحضور انتصاراً باهراً للكثلكة والدين

*

وان انتقلنا من بلجكة الى فرنسة وجدنا فيها آثاراً طيّبة من العلوم تنبئ باقدام الفرنسويين الكاثوليك في كل المشاريع الخطيرة . كانت الدولة بعد الثورة الفرنسويّة قد احتكرت التعليم بايعاز الفرمسون فلم تسمح لاهل الدين ان يشربوا قدماً من كوثره

الّا مصبوباً بايدي الموسومين بسمة الحكومة والمجارين لها في مبادئها الفاسدة

ولمّا جرت الحرب السبعينية بين فرنسة والمانية شمرت الدولة عند حلول تلك الضربة بيمينه تعالى فأرخت مدّةً من خناق الكاثوليك وسمحت لهم سنة ١٨٧٥ بانشاء كليّات مستقلّة على نفقاتهم الخاصّة. فنهض الفرنسويّون على مألوف اريحيّتهم وتبرّعوا بالمال الوافر ففتحوا خمس كليّات كاثوليكية جهّزوها بما تستدعيه العلوم العصريّة من اللوازم وهي باريس وليل وليون وانجه وطولوزا بلغ اليوم معدّل تلامذة كل واحدة منها ٤٤٠ طالباً وهذا لعمري قليل بالنسبة الى كليّة لوفان الّا انّهُ في ذاتهِ كثير لأنّ الحكومة استرجعت شيئاً من الامتيازات التي منحتها اوّلاً ثم لا تزال تضايق عليها خوفاً من المزاحمة. وفي كل هذه الكليّات رجال اختصاصيّون يعدّون في مقدّمة علماء بلادهم في كل شُعبة من شُعب العلوم العصريّة لو حاولنا اثبات اسمائهم فقط لما كفت عدّة صفحات فمنهم الكتابيّون واللاهوتيّون كفيكورو (Vigouroux) وفيليون (Fillion) ومنجنو (Mangenot) والاب اليسوعي داليس (d'Alès) ومنهم الفلاسفة التطاسيون كديديو (J. Didiot) والسيد اليأ بلان (Mgr. E. Blanc) ومنهم الاثريون كاوليس شفاليه (U. Chevalier) والسيد دوشان (Mgr. Duchesne) ومنهم المؤرّخون كالسيّد بودريلار (Mgr. Baudrillart) والاب بيزاني (Pisani) ومنهم علماء الرياضيّات والفلك والطبيعيّات والجيولوجيات كالاب جوبار اليسوعي (P. Joubert) والسيو لوموان (G. Lemoine) والسيو برانلي (Branly) الشهير باكتشافات التلغراف اللاسلكي وفقيد العلوم لابارّان (Lapparent) وعشرات غيرهم. وبينهم المستشرقون كالسيد غرافين (Mgr. Graffin) والاب نو (Nau) والبارون كارادي ڤو (Carra de Vaux) ولكلّهم مصنّفات عديدة لو جُمعت لتألّف منها مكتبة واسعة. وقد تكلّف الكاثوليك على هذه الكليّات فوق العشرين مليوناً لكنّ الله قد كلّل اتعابهم بالنجاح بعدد لا يُحصى من الفقهاء والاطباء والعلماء الذين يشرّفون اليوم دينهم بمعارفهم

وان اعتبرنا بلاد النمسة وجدنا انّ دولتها لم تفصل رسمياً الدين من التعليم ولذلك جعلت في كليّاتها فروعاً للاهوت والفلسفة وما يتعلّق بهما وهي التي تعين اساتذة تلك الفروع وتدفع لهم رواتبهم. ومن ثم لا نذكر تلك الكليّات كمدارس كاثوليكية

محضة. ثم انَّ تلك الكليَّات قديمة باقية على نظامها القديم. وممَّا أُنشئ فيها في القرن السابق كليَّة انسبرك (Innsbruck) في مملكة التيرول حيث يُعلّم الآباء اليسوعيُّون العلوم الدينيَّة والفلسفيَّة واللغات الشرقية فنالت بهم تلك الكليَّة شهرة واسعة

وما قلناه عن نظام كليَّات النمسة يصحّ قوله في كليَّات المانية المتعدّدة التي هي كذلك تحت سيطرة الحكومة تنوط بها في كل امورها. ولاجل هذا لا يمكننا ان ننظم هذه الكليَّات في جملة الكليات الكاثوليكية لانك تجد في كلية واحدة معلّمين معادين للدين مع غيرهم من انصاره المخلصين

ومن الكليَّات الكاثوليكية المستقلّة التي أُنشئت منذ عهد قريب كليَّة فريبورغ من اعمال سويسرة تولّى انشاءها رجلٌ همام من أُسرة كاثوليكية عريقة في القدم تشرَّف اجدادُها بخدمة الطوباوي كانيزيوس اليسوعي رسول سويسرة نريد به المسيو پيثون (Python) مدير المعارف في مملكة فريبورغ الكاثوليكية ونائب إيالته في شورى وطنه. فهذا لمَّا رأى انَّ للبروتستانت في سويسرة ثلاث كليات وما يصيب الكاثوليك بسببها من الضرر الادبي لم يألُ جهدًا حتى جمع المال اللازم لانشاء كلية كاثوليكية مبنية على اصول الدين الكاثوليكي دون ان ينقصها شيء من اسباب النجاح والترقي في الآداب العصريَّة. وقد فتح منشئ هذه المدرسة ابوابها لاساتذة مختلفين منهم فرنسويّون ومنهم المانيُّون يعلّم كل منهم بلغته كما انَّهُ لم يخصّ التعليم بناشئة بلاده لكنَّهُ تقبَّل الطلبة الذين يقصدون فريبورغ من كل البلاد وهذه السنة العشرون لانشاء تلك الكلّية. ولمَّا اجتزنا مدينة فريبورغ قبل اربع سنين سُررنا ايَّ سرور بزيارة تلك المدرسة ورأينا في نجاحها ما تجاوز ظنّنا فيها . ونظام هذه الكلية على مثال كليات المانية والنمسة اما معلّمو القسم الديني فيها فهم الآباء الدومنيكان الذين ينشئون مجلّة لاهوتية بالفرنسويَّة

وكانت اسبانية الى هذا العهد الاخير خالية من كلية كاثوليكية. ولعلَّ الكاثوليك لثقتهم بحكومتهم ما كانوا ليخافوا على ايمانهم من خطر لأنَّ ارباب الامر كانوا في الغالب يراعون قوانين الدين الَّا انَّ الروح العصري اخذ يفشو بينهم بمساعي الماسونية فاراد الكاثوليك ان يصونوا كنز ايمانهم من آفات الكفر ومنذ سنتين اجتمع اعيان

الكاثوليك ونخبة الأكليروس الرهباني والعالمي واتّفقوا على انشاء كلّية كاثوليكية محضة يعلمون فيها العلوم الدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية فعيّنوا لذلك خمسة عشر استاذاً من وجوه العلماء بينهم راهبان يسوعي واوغسطيني ثم باشروا تعليمهم بكل نشاط وفتحوا مع ذلك ثلاث مختبرات اودعوها كل ما يُساعد الدارسين على اتقان دروسهم ومعرفة الحركة العلمية في العالم. والامل معقود على نجاح هذه الكلّية فيقوى اصحابها على ردّ جماح اهل الكفر ومعرّة الالحاد

وكما ابى الاسبانيّون الكاثوليك ان تُحرم بلادهم من كلية لا يشوبها سوء المعتقد كذلك ارادت ارلندة الكاثوليكية ان تجعل لابنائها حمىً يلتجئون اليه لدرس العلوم الجديدة دون ان يستنشقوا ريح الاضاليل الوبئية التي تهبّ عواصفها في جوارهم بواسطة الشيع البروتستانية المتغلبة على الممالك البريطانية ويصونوا وديعة ايمانهم الذي لاجله جاهدوا الجهاد الحسن مدّة ثلاثة اجيال بنيّف. نعم انّ الكاثوليك الايرلنديين كانوا يتخرّجون سابقاً في مدرسة دوبلين المعروفة بمدرسة الثالوث (Trinity college) الّا انّ تلك المدرسة ما كانت تفي بحاجات التمدّن العصري فسعوا غير مرّة ليخرجوا هذا الفكر الى حيز الوجود وحتى الآن كانت الاحوال تحول دون مرامهم حتى تمكّنوا مؤخّراً بعد اتّفاقهم مع الحكومة الانكليزيّة ان ينشئوا في دوبلين كلية كاثوليكية ينال فيها الكاثوليك كل امتيازات المدارس الكلية كبقية الانكليز دون ان يُضطرّوا الى حضور دروس معلمين يبخسون حقوق مذهبهم

*

دَعنا الآن نجتاز بحر الاوقيانوس ونستقري العالم الجديد فانّنا نرى هناك دلائل لامعة على همّة الكاثوليك لرفع منار الاداب وتعزيز العلوم في مطاوي القرن المنصرم

واوّل ما نلقاهُ في الشمال كلّيتا كيبك ومنتريال في بلاد كاندا وكلتاهما تُعرف باسم كلّيّة لاقال لانها ثمرة مساعي مديري مدرسة لاقال الأكليريكيّة التي انشأها سنة ١٦٦٢ الطيّب الذكر السيّد لاقال. وفي السنة ١٨٥٢ رأى الأكليروس الكانادي واعيان الكاثوليك في تلك البلاد انّ مواطنيهم محتاجون الى مدرسة عُليا يتخرّج فيها شبانهم ويجاوزون بها كليّات بقيّة البلاد فأُقيمت اوّلاً كليّة كيبك وبعد ٢٥ سنة رأوا انّ منتريال اصبحت كعاصمة البلاد بنموّها فانشأوا فيها كليّة ثانية ألحقوها بكليّة

كيبك . والكليّتان في ترقٍّ متواصل يبلغ عدد معلّميهما ١٩١ ويربي عدد الطلبة على الالف . اما العلوم التي يتلقّنها الطلبة فالآداب الخاصّة والفنون الجميلة والفقه والطب والفلسفة والعلوم الدينيّة العليا واصول الصنائع . والكليّتان في كاندا كحصنَين حريزَين في وجه المعادين للدين الكاثوليكي وشاهدين جليلين على انّ العلم والدين شقيقان يجريان معاً دون اختلاف ولا تزاع لخير العباد وترقي البلاد

وان انحدرنا من كاندا الى الولايات المتّحدة وجدنا للكاثوليك ثلاث كليات يفتخر بها الاميركيّون وتستقي منها الناشئة موارد العلوم العليا صافيةً لم يرنّقها روح الكفر . فالاولى كليّة سان لويس في بلاد ميشوري انشأها اليسوعيون بعد عودتهم الى اميركة بزمن قليل سنة ١٨٢٩ ولا تزال حتى اليوم في نظارتهم يقصدها الطلبة المتخرّجون في ٩ مدارس اكثرها تحت تدبيرهم . وبعض هذه المدارس توفّقت حتى اضحت شبه كليات فُرفت بهذا الاسم ككلية كريتون (Cricghton University) وكليّة ماركت (Marquette University) . ويناهز عدد طلبة كلية سان لويس الالف طالب منهم ٢٥٠ للطبّ يعلمهم فروع هذا الفنّ ٥٤ استاذاً او مرشداً

والكليّة الثانية في مدينة جرجتُون (Georgetown) يديرها الآباء اليسوعيون الذين انشأوها سنة ١٨٥٤ وهم يعلّمون فيها ٦٠٠ طالب العلوم النظريّة والرياضيّة والفلكيّات والطبّ والفقه . وقد وقفنا في السنة ١٩٠٤ على مذكّرة يوبيلهم الحسيني فاخذنا العجب ممّا هم عليه من التقدّم في العلوم المستحدثة لم يفتهم شيءٌ من الاختراعات الحديثة لتهذيب طلبتهم

اما الكليّة الثالثة فهي احدث نشأةً لكنّها اشمل لفائدة العموم في اميركة الشماليّة ألا وهي كلية واشنتون (Washington) كان ظهورها سنة ١٨٨٤ بهمّة اساقفة الولايات المتّحدة عضدهم في ذلك قومٌ من المحسنين فجهّزوا الكليّة على طرز اكبر الكليّات وادرّوا عليها الاوقاف الواسعة فلم ينقصها شيءٌ من اسباب النجاح وقد منحها البابا لاون الثالث عشر امتيازات خاصّة في السنة ١٨٨٩ . وهي لا تزال حتى اليوم في تحسين متواصل لكنّ طلبتها قليلون حتى الآن لا يزيدون على ١٢٠

وفي اميركة الجنوبيّة كليّة واحدة كاثوليكيّة مركزها في سنتياغو من اعمال شيلي انشأها سنة ١٨٩٥ رئيس اساقفة تلك البلاد السيّد كازانوفا (Mgr Casanova)

تجمع بين العلوم الثانوية والعلوم العليا الدينية والمدنية وهي على ساقٍ من النجاح يقدم طلبتها امتحانهم بإزاء فاحصين تعيّنهم الحكومة المحليّة فينالون الشهادات المؤذنة بصلاحيتهم

ولم ينسَ السيّد بودريليار الذي اخذنا عنهُ كثيرًا من المعلومات السابقة كليتنا الكاثوليكية في بيروت وهي الكلية الوحيدة الكاثوليكية في آسية بل أحسن في ذكر تاريخها ونظامها وترقيها وما ادَّتهُ من الخدم للممالك العثمانيّة والبلاد المجاورة · لاسيما بعد انشاء مدرستها الطبيّة بمؤازرة الدولة الفرنسويّة · فنشكر السيد الكاتب على لطفهِ ونثني على صدق وصفهِ لم يخلّ في شيء منهُ الّا في قولهِ (ص ٥٦) انَّ لساتذة الطب يُعيّنهم وزير المعارف في فرنسة والصواب انَّ الذي يعيّنهم هو الاب كنشليار المدرسة بمصادقة وزير الخارجية المذكور · وهنا كان يمكننا ان نتَّسع في تعريف كليتنا الّا أننا نكتفي بما سبق المشرق وكتبهُ في سنتهِ الرابعة سنة ١٩٠١ عن يوبيل الكلية الفضي (ص ١–١١) وفي السنة الحادية عشرة (ص ٣٤١–٣٥٤) عن العرس الفضي للمكتب الطبي فليُراجع الفصلان

وفي الختام لا يسعنا الّا ان نثني على همّة الكنيسة الكاثوليكية وابنائها الغيورين الذين علموا كما علم اسلافهم انَّ العلم الصحيح احسن عضد للدين لا يمكنهُ الّا ان يزيدهُ تأصلًا في القلوب السليمة ولذلك ما انفكوا أن يضحّوا في سبيلهِ النفس والنفيس ليشيّدوا في جهات المعمور تلك الصروح الشاهقة التي اودعوها صفوة المعارف البشريّة ولباب العلوم العصريّة ليكون الجميع على بصيرة بأن الكنيسة الكاثوليكية لا تنال من ترقّي المعارف سوى الفخر والعزّ لان الله الذي انشأهما هو إله العلوم كما هو إله الدين فباعتزاز العلم يعتزّ الدين الصحيح كما ان الدين الصحيح ينشر معهُ حيثما حلَّ لواء العلوم البشريّة مهما تقوَّل بعض المتشدقين الذين يرددون كالببغاء مزاعم اعداء الدين انار الله عقولهم وهداهم الى سواء السبيل

المناديات الدمشقيّة في الاثمار الشاميّة

للاب سليمان غانم اليسوعي

* اصلاح غلط * مرَّ في العدد السابق (ص ٣٤٠) انَّ تفاح الزبداني يكون ١٦ نوعاً ثم لم يُذكر منهُ الّا عشرة. امّا الاشكال الاربعة الاخيرة اي الشتويّ الماماني والحامض الجمّالي والحامض الصوري (ليس السوري بالسين) والبيبليّ فقد رُويت في المشرق بالغلط مع اشكال التين المسمّة ص ٣٤٣. امّا اشكال التين فها نحن نذكرها هنا على تمامها

٦ التين (تابع)

وللتين ٥ اشكال وهي:

١ (الملكي) وهو احلاها ويكون ابيض كبيرًا. وافضل اشكاله البعل لعدم سقيهِ فاذا سُقي دوَّد (ورطلهُ من ٢٧ الى ٣ ق)

٢ (كعب الغزال) وقلبهُ ابيض او احمر (ورطلهُ من ق ١٢ الى ٢)

٣ (العسليّ) وينضج بعد الاوَّلين. دُعي بذلك لحلاوتهِ

٤ (الاسود) وهو قليل كبير الحبّ او صغيرهُ. وقلبهُ احمر ولا ييبس

٥ (الشتويّ) وهو قليل ايضاً. وينضج في التشارين والّا يسقط في كانون

وليس هنا تين بقراطي

وينادي الباعة على التين: « بعل يا تين — يشرب من ميّة الثلج يا بعل — تين بدّا ما بيتبدّى — حلبون بلادك يا بعل — ابيض يا تين — ابيض ولاوي وصاحبهُ تيس (كذا) مرَاوي هالتين الدبلان »

ويُجلب اجود التين من قرى بدّا وحلبون والذريج في القلمون الفوقاني وهو اجود واصغر ما يُباع في بيروت. وهو غير مطبوع — وتين بسيا مشرَّح الّا انهُ دون سواهُ حلاوةً. وجارود وجهاتها تمتاز ايضاً بتينها الحلو وعنبها ورمّانها

وقد تكرَّر ذكر التين في الاسفار المقدَّسة فيخبرنا سفر التكوين (٣: ٧) انَّ الابوين الاوَّلين بعد خطيئتهما في جنّة عدن خاطا لهما مآزر من ورق التين. وروى في سفر العدد (١٣: ١٤) انَّ الوفد الذي ارسلهُ موسى الى ارض كنعان ليتجسَّسها اتى بشيءٍ من اثمارها منها عنقود عنب حملوهُ بعتلةٍ بين اثنين مع شيءٍ من الرمّان والتين — ولمّا خاصم بنو اسرائيل موسى الكليم في البرّيّة (عدد ٢٠: ٥) تذمَّروا منهُ لكونهِ

« اتى بهم الى موضع خبيث لا زرع فيه ولا تين ولا كرم ولا رمّان ولا ماء للشرب » — وفي محلّ آخر (تث ٨ : ٥) يعدهم موسى ان حفظوا كلمة تعالى بانهُ يعطيهم ارضاً صالحة ذات انهار ماء . . . . ارض حنطة وشعير وكرم تين ورمّان وعسل » — ولمّا اراد الكتاب ان يصف ما نالهُ الاسرائيليّون من السلام في عهد سليمان قال (٣ ملوك ٤ : ٢٥) : انَّ كل واحد كان يسكن تحت جفنته وتينته

وذكر الانبياء التين مراراً . فانَّ اشعيا (٤ مل ١٨ : ٣١ واش ٨ : ١) وصف لحزقيا قرصاً من التين ليبرئ قرحتهُ — وشبَّه اشعيا (٣٤ : ٤) سقوط جند السماء « بسقوط الورق من الكرم والسُّقاط من التين » — وشبَّه ارميا النبي المجلوّين الى ارض الكلدان . بزنبيلين احدهما مملوٌّ تيناً طيّباً جداً والآخر تينةً خبيث لا يمكن اكلهُ

وكثيراً ما ضرب الكتاب المثل بالتينة . فمن الامثال القديمة التي ورد فيها ذكر التين مثل الشجر المجتمعات ليسحنَ عليهنَّ ملكاً . (في سفر القضاة ٩) فاعتذرت التينة عن قبول الملك لئلّا تفقد حلاوتها وثمرها الطيّب باستعلائها على الشجر . وجاء في امثال سليمان (٢٧ : ١٨) : « من يحرس تينتهُ يأكل من ثمرها ومن يرع سيّدهُ يمجد » وكذلك السيّد المسيح في انجيله الطاهر فانّهُ بنى امثالاً عدّة على التينة فتارةً (مت ٢٤ : ٣٢) يريد أن نستدلَّ على وقوع اليوم الاخير كما نستدلُّ على دنوّ الصيف من اغصان التينة ونموّ اوراقها . وتارة (مت ٧ : ١٦) يؤكد انَّ الرجل الشرّير لا يأتي بعمل صالح كما انّهُ لا يُجنى تين من العوسج . وحيناً يثبت (لو ١٣ : ١٦) سوء منقلب الانسان ان لم يأتِ بثمر صالح كما تُقلَع التينة التي يُعنى بها البستاني فلا تثمر ثمراً فتُلقى في النار لئلّا تشغل المكان سدًى . وكذلك افادنا المخلّص بلعنته التينة التي لم يجد فيها ثمراً انَّ الرب في اليوم الاخير يلعن اولئك الذين قضوا حياتهم دون عمل خير فيُلقَون في النار المؤبدة كالحطب اليابس

هذه بعض الآيات التي استمدَّ فيها الكتاب الكريم تعاليمهُ الخلاصيَّة من التينة افادةً للبشر وايضاحاً للحقائق الادبيَّة

• المجَنْرك

ويقولون جَنْرك وفي التركيَّة جَرْنك وهو الخوخ الصغير ويريدون بالخوخ الاجاص (prune) . وهو يزهر بعد اللوز بقليل في اوائل آذار ويؤكل بعد شهر قبل نضجه

ويدوم الى ايار. وفي الزبداني يُطعمون الخوخ البرّي وخوخ الدب جنركاً اما في دمشق فيخرج الجنرك من بزرته او اصله

والجنرك ثلاثة اشكال: السكّري العادي والسكّري الاستنبولي والحامض. ويؤكل وحده او معقودًا بالسكّر وارخصهُ الحامض يُباع رطلهُ بثلاثين بارة والعادي بقرش ونصف والاستنبولي ٢٠ ق. ويحسن الجنرك في الربوة. لكنَّ اهل الهامة الى الزبداني لا يحبّون غرسهُ بل يفضّلون عليهِ غيرهُ من الاشجار وذلك لأنهُ ينضج قبل سواهُ من الاثمار فيتهافت الناس عليهِ ويكسرون اغصانهُ فتتلف الشجرة. والجنرك يجب سقيهُ كل اسبوع او اسبوعين وإلّا فلا يثمر. ومناديات الباعة عليهِ:

« يا مال الربوة هلجنرك – احمر يا جنرك – سكّري او تفاحي عال يا جنرك – المعقود يا جنرك – عبّي الاترميز يا جنرك (والاترميز اناء من زجاج) »

٦ الخوخ

الخوخ في اصطلاح اهل الشام الأجاص (prune) وهو في كتب العرب الدراقن (pêche) اما الاجاص فيريد الشاميّون بهِ الكمثرى (poire). ونبع الخوخ الزبداني فلا يقلّ مقتنى فلّاحيها من ٢٠٠ شجرة. وقد كثر في بعض السنين حتى بيع الحمل منهُ بثلاثة قروش. وهو يزهر في نيسان ويؤكل في حزيران. ولا يعيش بلا ماء الّا البرّي منهُ. واشكالهُ خمسة: ١ً (قيصري حلب) وهو اسود كبير يبلغ حجم البيضة والناس يرغبونهُ لطيب طعمهِ ورخصهِ فانَّ الرطل منهُ يباع من ٣٠ بارة الى ٣ ق

٢ً (الماوردي) وهو ابيض واحمر ولا ينضج كلّهُ بوقت واحد وهو قليل

٣ً (القاسيّ) وهو على شكل القيصريّ واكبر. وهو ايضاً قليل

٤ً (القزازي) يكون حلوًا وازرق دُعي كذلك لانهُ على لون زجاج دمشق

٥ً (الاجاصي) الذي ينضج وفيهِ طرف حموضة

وينادون على الخوخ: « قيصري حلب يا خوخ – بزرهُ من حلب يا خوخ – يروّق الدم ويزوّل الهمّ يا خوخ »

ويرد دمشق من الخارج خوخ يابس مربّى بالسكّر يجهل الدمشقيّون عملهُ. واليهود في دمشق يشترون الخوخ اليابس الذي يسقط بكثرة في الزبداني بنحو ٣٠ بارة الرطل. وقد اصطنع بعضهم من الخوخ بدلًا من المشمش قمردينًا فكان اسود اللون طيبًا

٧ في خوخ الدبّ

هو خوخ حامض او جَنَرك كبير حامض يُقطف في ايلول ولا يؤكل لحموضته الّا مطبوخاً مع اللحم او المحشي او اليبرق وهو اخضر في اوّلهِ ثمّ يسودّ اذا نضج والمناداة عليه: « خوخ الدبّ يا جَنَرك — حامض يا خوخ (او) يا جَنَرك »

٨ في الدراقن

ويقال الدرّاق هو في اصطلاح اهل الشام الخوخ كما سبق. والدراقن يزهر بآذار ويؤكل في آب. ويعيش شجرهُ من عشر سنين الى عشرين سنة على قدر حسن التربة والاعتناء به. والشائع عند اصحابهِ انّ ورقهُ كمّ له والدالك يجمعونهُ في كانون من الشجرة ومن تحتها فيلقونهُ خارج البستان في محلّ بعيد. امّا الدواب فانّهم يعالجون بورقهِ المذكور جراحها اذا دوّد الجرح فيدقّون الورق ويضعونهُ كرهم في مكان الداء فيهرب الدود

واشكال الدراقن في دمشق ثلاثة: ١° (النَيرَاباني) نسبة الى نيرابان من اراضي الصالحيّة وهو ابيض له صوفة وبزرتهُ مرّة ويقال له النتسى ايضاً رطلهُ من ١٢ الى ٢ ق
٢° (الاستنبولي) وله خدّ ابيض وخدّ احمر
٣° (الزهري) وهو صغير وبزرتهُ حلوة وهو اغلى من الجنسين السابقين رطلهُ من ٤ ق الى ٦ الّا انهُ لا يطيق السفر. ومناداة الباعة على الدراقن: « ابيض يا نيراباني — اكلهُ شفا بزره دوا يا نيراباني — دراقن زهري. يا زهري طاب — هرّب الناطور يا زهري — يرحم الّي غصبهُ يا نصب اللوك. مال الجنائن طاب. اطيب من العوّامة (والعوامة عندهم عجينة خمير مقليّة بسيرج ومقرّلة بقطر السكّر)

٩ في الجوز

تنبت براعمهُ (شباشيله) ثمّ ورقهُ في آيار ويؤكل في ايلول ولمّا تطلع الثريّا في حزيران تسقط الجوزة العاطلة. ويكثر الجوز في بساتين دمشق وفي غوطتها ولاسيا في التلّ ومنين وهو كبير ولذيذ. وهو يطلب ارضاً رطبة وماء. والارض البعليّة جوزها قليل ويعيش شجرهُ الى الف سنة واكثر. وقلبُ الجوز ابيض او اسمر او اسود فالابيض ما اصابتهُ حرارة الشمس والباقي ما غابت فيهِ الرطوبة القليلة او الكثيرة

تباع اوقيّة الجوز على خلاف اجناسهِ من قرش الى ٢. ويدخلون قلب الجوز في

المعجونات والحلويات كالبقلاوي والمعمول والكنافة ويُمزج بالزبيب والقمح المسلوق. امَّا خشب الجوز فيرغب فيهِ النجَّارون فيصطنعون منهُ الآنيــة والقباقب والرفوف وضروب الاثاث

والجوز الشامي اربعة اشكال: ١ً العــادي. ٢ً الفرك وهو رقيق القشرة تُكسر قشرتهُ بالفرك. ٣ً النجيل وقشرتهُ صلبة جدًّا لا يُستخرَج قلبها الّا بالجهد. ٤ً البعلبكي ويُدعى المِنقار لانَّ له شبه المنقار. ويُنادى الجوز: « مال التلّ يا جوز — تازا وجديد يا جوز — تما اعمل مازا يا جوز — للمونة هلجوز — ابيض قلب الجوز ابيض »

امَّا ذكر الجوز في الكتاب المقدَّس فقليل منهُ ما جاء في سفر نشيد الاناشيد (٦: ١٠): « نزلتُ الى جنَّة الجوز لانظر الى ثمر الوادي وارى هل ازهر الكرم ونوَّر الرمَّان »

١٠ في حبّ الآس (المنبلاس)

لا يوجد الآس بكثرة في غير الصالحيَّة وحبُّهُ ابيض وكبير وحلو ويُسقى كثيرًا. وهو يزهر في آخر ايَّار ويؤكل في اوَّل تشرين ويحلو بعد المطر. والجبلي منهُ صغير وحبُّهُ اسود وصغير وكثير البزر. ومن عوائدهم انهم يضعون اغصــان الآس على القبور. وفي وقفة رمضان وعيد الضحيَّة يحمل منها فلاحو الصالحيَّة حزمًا يبيعونها. ويوم العيــد يخرج الناس الى المقابر فيزيّنون بها المدافن

وورد ذكر الآس في الكتاب المقدَّس كعلامة الخصب والبهجة قال اشعيــا (٤١: ١٩) « اجعل في البريَّة الارز والسنط والآس وشجر الزيت واجعل في الصحراء السرو والسنديان والشربين جميعًا ». وقال في محــلّ آخر (٥٥: ١٣): « عوض العُلَّيق ينبت السرو وعوض القرَّاص ينبت الآس » اطلب ايضاً سفر زكريا النبي (١: ٨ الخ)

وينادى حب الآس (المنبلاس): « طاب اكل الحنبلاس (او) حب الالاس (او) حب الجنــاين طاب — حلي الجنابيني يابا حلي — اطيب من السكَّر يا ابني — حوشناه من زقاق ضيّق هلحنبلاس. (او) من الحواكير. (او) من الصالحيَّة »

١١ في الرمَّان

الرمَّان ينبت في كل تربة ولكن يقتضى سقيهُ مرَّتين او ثلاث مرَّات في الصيف. وهو يزهر في نيسان وينضج ثمرهُ في ايلول. وانواعهُ ثلاثة:

١ً (الحلو) ويقال فيه: « اقمع الحلو الرمَّان الحلو واقمع الحــامض الرمان

الحامض » وهو صنفان : (المَلاسي الماوردي) وتكون قشرتهُ ملساء وحب بزرتهِ دقيقة يباع رطلهُ من ٢٧ الى ٣ ق ٠ (وابو حلقوم) وهو سميك القشرة كبير البزرة والحبّة رطلهُ يساوي قرشاً الى ١٧

٢ْ (الحامض) يتّخذون منهُ الشراب وثمن رطلهِ من قرش الى قرشين

٣ْ (اللفّان) وهو المزّ بين الحلو والحامض رطله من ٣٠ بارة الى قرش وينادون على الرمّان : « رمان حلو يا ماوردي — حلو الرمان يا ملّاسي — للشراب هالرُّمان — صَليبي يا حامض (الصليبي الذي يُقطف بعد عيد الصليب) »

وقشر الرمان دواء للدودة الوحيدة · ويستعملونهُ في الصناعة للصباغ الاسود وللزاج والكتاب الكريم ذكر الرمان في آياتهِ التي نقلناها في فصلي التفّاح والتين · وذكرهُ ايضاً في جملة الحلي التي اتّخذوها تكبير الاحبار وزينة الهيكل فتقلّدوا شكل الرمّان · جاء في سفر الخروج (٣٩ : ٢٤) انّ موسى جعل لأذيال جبّة هارون رمّانات من سنجونيّ وارجوان وصبغ قرمز وبزّ مشجور · وكذلك روى سفر الملوك الثالث (١٤ : ١٢) انّ سليمان صنع ٤٠٠ رمّانة من نحاس ليزين بيت الرب · وكأنّهم كانوا يشربون عصيرهُ كما تدلّ عليهِ آية نشيد الاناشيد (٨ : ٢) حيث قال : « واسقيك الخمر المطيّبة وعصير الرمّان »

١١ في الزعبوب والزعرور

الزعبوب حبّ احمر على حجم الجلترك ينمو في الاراضي الشمسيّة في الهامة والفيجة ووادي بردى وبزرهُ يشبهُ البنّ وقد يزهر في نيسان ويؤكل في ايلول يباع رطلهُ من قرش الى ١٧

امّا الزعرور فهو حبّ صغير مثل حبّ الآس يأكلهُ عابر السبيل وشجرتهُ سياج للبساتين

ويُنادى على الزعبوب : « بلح · او عجوه · او تمر محنّى يا زعبوب — اكل الوليدات يا زعبوب — الله يخلّيك للوليدات يا زعبوب — عنّي الحبيه يا زعبوب — جمال ورلحة يا زعبوب — شرن برنّ يا زعبوب — بزرك بنّ يا زعبوب — تاتين حمل جمل يا زعبوب »

(التتمّة لعدد آخر)

الرشيد والبرامكة

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قدم

بقلم الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

المنجة

قصر الرشيد . سدّة للخليفة

المشهد الاوّل

الفضل . الرشيد . مسرور . ياسر

الرشيد يا للعار! يا لخيبة الآمال!

الفضل سيّدي

الرشيد اهكذا تُشير عليَّ بقتل العلويّ فأعوّل عليك في انجاز مرامي فتعود بصفقة خاسر ذليلًا غيرَ اهل ان تُذبح بسيف برمكي! أتدعُ بين أيديهم سيفي ذا الفقار شاهدًا عليَّ! يا للفضيحة ويا للعار!

الفضل لا عارَ عليك يا امير المؤمنين

الرشيد كيف لا عارَ والبرامكة يُذيعون الخبر في بغداد فتتناقله الافواه من مكان الى مكان فيُضحي الخليفة سُبَّةً على السنة الناس يَعزون اليه التخلّق بالتقى والعبادة واضمار المكر والخديعة

مسرور حاشاك ان يلبسك هؤلاء المَرَدة ثوبَ الصَّغار

ياسر مُرْ ما تشاء فلا تلقَ منّا الّا عبيدًا طُوّعًا

الفضل نحن معشر الأُمناء نقوم بما تُسندُ الينا من امضاء عدلك واظهار حقّك

الرشيد اني لعاجز!

الفضل «انّا العاجز من لا يستبدّ»

مسرور فاستبدْ اخيرًا سيدي. قل كلمة فنستأصل شأفة البرامكة عن آخرهم

الفضل ان فيهم يحق ما قاله سديف:

لا يغرّنك ما ترى من فعال إنّ تحت الضلوع داء دويًا
فضعِ السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها برمكيًا (١)

الرشيد ما الراي وما التدبير ؟

الفضل ان البرامكة ارادوا الوصول الى مرامهم بالدهاء والمكيدة فعاجِلهم بالقصاص قبل ان يشهروا اسرارك فيستفحل الامر

الرشيد ما اسهل القول واصعب الفعل

الفضل وان تأخرتَ ساعة عن قتلهم وتركتَ جعفرًا يخرج من قبضتك استعان بنفوذ وبسلطان الفرنجة حيث بعث بعبدالله ثم اقام البيعة للعلوي فزلزلك عن ملكك واباد دولة آل العباس وعفّى ذكرهم الى الابد

ياسر ان جعفرًا يُضمر لك الشرّ ولا يزال يتهدّد امير المؤمنين ويسخر به امام الخاصّ والعام. أما سمعتَ ما قاله لاسمعيل الهاشمي ؟

الرشيد وما قال ؟

ياسر ما اكل الرشيد الخبز الّا بفضلي وما قامت دولته الّا بي فوالله لئن عاندني ولم يسرْ طوع خاطري لتكوننّ جرأته وبالًا عليه

الرشيد يتهدّدني جعفر انه لخدّاع نمّام . يميتني ويستذلّني وتربة المهدي لأرجمنّ سهمهُ الى نحره . لكن ما الحيلة ؟ إني لعاجز لا اتجرأ على صعاب الامور

الفضل (يركع) سألتك بالله يا امير المؤمنين وبتربة المهدي وبشرف نفسك ان تأخذ بناصر الخلافة العباسيّة والّا تدعها عرضةً للذلّ والشنار فان جعفرًا فعل ما ينكس الابصار ويسربل اعقابك بثوبٍ من العار

الرشيد بيّن مقالك ثكلتك امك والّا قتلتُك

الفضل سَلْ ياسرًا ومسرورًا

ياسر لن بني برمك قد مرقوا عن الدين القويم واسرّوا مقالاتٍ ومبادئ

---

(١) مجاني الادب • عدد ٢١٢ والشعر قد قيل في بني امية

يتكرها كل مؤمن صادق

مسرور ان جعفرًا قد اذلّ عترة المهدي (١

الرشيد وما مُرادكم ؟

مسرور الامان

الرشيد لكم الامان

مسرور سل زبيدة تطلعك على امره مع العبّاسة (٢

الرشيد ان كنتم كاذبين قتلتكم شرّ قتلة · جهّز يا فضل امري باهلاك البرامكة عن اخرهم

الفضل نعم سيّدي (يخرج الرشيد)

المشهد الثاني

الفضل · مسرور · ياسر

الفضل قد فزنا بالمراد · ان زبيدة شريكةٌ سرًّا وهي من الدّ اعداء جعفر · فسوف تُؤجج نار الغضب في صدر الرشيد · اما الحكم فقد اعددتُهُ وكتبتهُ منذ أيام لا ينقصه الّا توقيع الرشيد (يخرجهُ من جيبه ويقرأ) : « . . . ان يُقتَلَ البرامكة وتعفى آثارهم ويُمحق ذكرهم وتُخرب دورهم ويُباحَ ذمارُهم وتُقبض اموالهم · ومن ذكرهم سرًّا او علنًا كان الموت جزاءهُ » · قد حان وقت الاخذ بالثأر فطبْ قلبًا يا ابن الربيع وافرح بالغلبة وبلوغ الاماني

مسرور ونحن ما جزاؤنا ؟

الفضل قصور البرامكة مشحونة بالذهب والدرر والحلل والاموال · وهي لنا

ياسر وانا قد قمتُ باعباء ما أمرتني بهِ رغمَ المصاعب · فما يكون حظي ؟

الفضل تُرفع الى معالي الرتب وترتع في مراعي اللذات تبعًا لاهوائك المهودة

ياسر هذا جزائي (يحزن)

---

١) تلميح الى حكاية العباسة

٢) الاتليدي (١٦٦) وغيره

مسرور انظر . ارى البرامكة قادمين الى قصر الرشيد اجابة لدعوته والجموع تحيط بهم

ياسر وهم يجهلون أنّنا واقفون لهم بالمرصاد

مسرور وأنْ قد اقتربت ساعتُهم

الفضل لكن اخاف جبنَ الرشيد وتردّدَهُ وقصر همّته عند الخطوب الصعاب لاسيما اذا قابل جعفرًا ويحيى

مسرور ان نجح اليوم مسعانا نلنا النصيب الاعلى والّا هلكنا لا محالة

الفضل لذا خذ يا ياسر هذه البدرة فاذا رأيتهم قد دخلوا الباب فارمِ بالدنانير بين القوم ولستورِ زناد الفتنة وأعلمهم أن الرشيد عازم على قتل يحيى وذويه ظلمًا وحسدًا إن لم ياتوا لخلاصهم فيهيج هائج الغيظ بين الشعب وتضطرم نائرةُ الثورة في قلوبهم فيكثر الهرج والمرج ونحن نرى هنا في امرنا .

ياسر نعم الراي (يخرج)

الفضل (لمسرور) وانت سرْ مسرعًا الى قائد الحرس ومُرهُ من قبل الرشيد ان يكون على حذر من فتنة ارادها البغاة ولا تتأخر فاني ارى الرشيد عائدًا

مسرور لله دركَ من داهية (يخرج)

المشهد الثالث

الفضل . الرشيد (ثم مسرور وياسر)

الرشيد (وحده في اوّل المسرح) يا جعفر ما كافأْتني ولا عرفتَ حقي . يا جعفر لقد خنتني . يا جعفر ألم أُملّكْ محلّ نفسي فغدرت بي ولم تتبصر في مغبّة الامور — اللهمّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل وانا أستخيرك فخِرْ لي (١

الفضل سيدي دونك الامر تبعًا لارادتك

الرشيد هات . عجلتَ يا ابن الربيع عجلتَ (ينظر الى الصك ثم يردّه) ما اقساك !

(١ الاتليدي (١٧٣)

يُبكى علينا ولا نبكي على احد   لنحن اغلظ اكباداً من الإبل (١
لا استطيع ان اوقع على مثل هـذا الحكم. أأقتلُ مَن ربيتُ في حِجره ودرجتُ في عُشهِ وكان سببَ خلافتي ! كم من مرةٍ دعوتُهُ ابتِ . أأقتل جعفراً رضيعي وخليلي . اقتل الاولاد والنساء كباراً وصغاراً . ظئري من ارضعتني وعطفت عليَّ واحبَّتني فكبرتُ في حضنها وترعرعت بين ذراعيها . ولذا جعفر دمٌ من دمي — لا . لا استطيع . قد تراخت مفاصلي ونهكتني الحمّى وانهدَّت قواي (يلقي بنفسهِ على كرسيهِ)

الفضل ما العمل ؟
(صراخ من الخارج :) حيَّا الله البرامكة — البرامكة سلاطين البلاد

الرشيد ما هذا ؟

الفضل ارى البرامكة قادمين عليك في موكبهم

الرشيد وما هذه الاصوات ؟

الفضل تعظيماً بهم . هم السلاطين !

الرشيد يا لله ! ما الحيلة ؟

الفضل انظر الى هذا الموكب . يُحيط بالبرامكة القوَّاد والشرفاء والامراء والعمَّال . إن الجموعَ على باب البرامكة وامير المؤمنين ما على باب دارهِ احد . انظر الى دوابهم الستَّ ترى اعجازها الى قصرك . هذا هو الاستخفاف بعينهِ (٢

الرشيد لا اصبر على هذا
(صراخ من الخارج :) حيَّا الله البرامكة

الفضل يلقون بالصرر يميناً وشمالاً ليجتذبوا الجماهير الى الفتنة (٣
(صوت من الخارج :) الخليفة . . . جعفر ويحيى . . .

الفضل لا اعي تمام الكلام لكني احسبُ القومَ يطلبونَ ترعكَ عن الخلافة وتسليمها للعلوي وللبرامكة اصحابهِ

١) قالهُ الرشيد بعد ما فتك بالبرامكة
٢) الاتليدي (١٦٧)
٣) كانت صلات يحيى لمن يعرض لهُ في طريقهِ مائتي درهم (الاربلي ١١٧ والفخري الخ)

الرشيد — هو هذا. لا اصبر على الذلّ والهوان. (يصفّق) مسرور

مسرور — امير المؤمنين

الرشيد — لحشد الحرس حول منزلي واتذن للبرامكة ولاطفهم فاذا دخلوا اوقف جنودهم وغلمانهم بخدعة ثم مل بجعفر الى القبة التركيّة وحُط به الجنود [١]

مسرور — نعم

الرشيد — وانتظر اوامري (يخرج مسرور) كفاني ذلّا وهوانًا. فالموت الموت جزاؤكم يا آل برمك ولو ثارت عليّ البلاد وعرّضتُ بدولتي الى الخراب وبروحي الى الهلاك

الفضل — هذا يحيي قد دنا يخطر الخيلاء.

الرشيد — بايّ لسان اخاطبهُ وقد دعوتهُ اليّ. إني لعاجزٌ

الفضل — لستَ بعاجز. لكن لا تدع الاهواء تسطو عليك فالحزم يقضي بانتهاز هذه الفرصة لتفكّ القيود التي بها قيّدوك وتغضب لشرف العبّاسيين الذي اذلّوهُ وتأخذ بثار الدين الذي جحدوه وتهدم اركان الشرّ الذي ابتنوه

الرشيد — لا بدّ. لا بدّ. اللهمّ انك تعلم ان البرامكة قد وجب عليهم القتل واذا استخرتك فخرتَ لي [٢] (يجلس الرشيد والفضل ويدخل يحيي)

المشهد الرابع

الرشيد. الفضل. يحيي

يحيي — السلامُ على امير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتهُ . . . (لا احد يجيب) يا للعجب حتى الفضل لا يقف لسيّدهِ [٣]

الرشيد — دعه. ليس الخائن باهل للاكرام

يحيي — ومن ذا الخائن ؟

الرشيد — انت أيها الشيخ الخدوع المكّار يا ناكر الجميل وكافرًا بالنعم

---

١) الطبري والفخري وسائر المؤرخين

٢) ابن الاثير وغيره

٣) الطبري (٣:٦٦٦)

يحيى يعلم الله اني أخلصتُ الخدمة لامير المؤمنين

الرشيد اقتنك على بيت المال فجمعت القناطير المقنطرة لكَ ولأولادك سلبًا واختلاسًا

يحيى قد افترى علينا الحسَدة زورًا. فنحن ملأنا بيوت الخليفة اموالًا ورفعنا عن الرعايا ما كان العُمّال الظالمون يحمّلونهم من الاثقال باستبدادهم وجورهم. فنلنا ما نلناهُ بجدّنا واخلاص خدمتنا. على انّا لا نزال لك اصدق العبيد. فاموالنا وديارُنا وضياعنا وكل ما نملك هو لك فان اردتَ قبضهُ فانت السيّد المطاع

الرشيد وما هذه المواكب والوفود التي تغدو وتروح على ابوابكم. أأصبح البرامكة الاسياد والخلائف ؟

يحيى إنّنا عبيدك وخدَمك ووزراؤكَ واصحابُ جيوشك ودواوينك. فان لم تكن الوفود على بابنا فعلى باب مَن تكون ؟ إنّا بابنا من ابوابك

الرشيد واين صاحبك يحيى بن عبد الله العلويّ ؟ (١

يحيى اطلقتُ سبيلهُ

الرشيد واما امرتُك مرارًا ان تقتلهُ فخالفتني ! وشدّدتُ امس على جعفر في التحفظ عليهِ فاطلقهُ !

يحيى انّا اطلقنهُ استنادًا على ما كتبتهُ لهُ انت يا امير المؤمنين بخطّك من الامان وما اخذت على نفسك من الأيمان الغليظة. فاشهدتَنا وامراءك على صدق نيّتك وندبت اليهِ ابني الفضل فاجاب العلويّ آمنًا واثقًا بعهدك وشهادتنا. فما ذنبي ان كنتَ عدلت عن فكرك ؟

الرشيد اوَ تجهل ان الفقهاء قد افتوا بانتقاض صكّ الامان ؟

يحيى فتوى كاذبة جبريّة لاشرعيّة قال بها ابو البختري تدلّسًا وتزلّفًا

الرشيد ان العلويّ بعد الامان فعل وصنع ودعا الناس الى نفسهِ فانتقض العهد

يحيى ذلك ما قالهُ الزُّبَيري بنُ العوّام واذ جمعتَهُ مع العلويّ تمنّع اوّلًا عن الحلف بيمين البراءة مرتاعًا ثم حلف بها فما خرج من المجلس الّا وضرب

---

١) الاغاني (١٧ : ٤٢)

برجلهِ ومات (١

[ذاق الزبيري غِبَّ الحنثِ وانكشفت   عن ابن فاطمةَ الاقوال والتُّهم]

الفضل   يا امير المؤمنين ما هذه الجرأة! ايتطاول العبد على سيّدهِ ؟

الرشيد   لقد عدوتَ طورك وتهتَ في كِبرِك فاكسر من زهوك واُقيم عليك شواهد مكرك. اليست هذه رسالة جعفر بامرك الى اهل خراسان توصيهم بالعلوي. اتنكرها ؟ (٢

يحيى   لا أنكرُ الحقَّ فالحقُّ سيفٌ على الكاذبين. هي رسالة الى الفضل ابني عاملك على خراسان اوصيهِ ان يُحسن ضيافة الشيخ ويُجري عليهِ شيئاً من المال يعيش بهِ في الزهد والعبادة

الفضل   ليست اقوالك الّا اباطيل مختلقة واكاذيب منمّقة

يحيى   دعِ السبَّ يا ابن الربيع فهو من صفات اللئام. ولو عرفتَ مَن الشيخ الذي امامك لما اسمعتهُ من الكلام فحشاً. أترضى يا هرون ان يُهان على مرأى منك ومسمع شيخٌ طالما دعوتَهُ اباك. ربيتَ في حِجرهِ ورضعتَ مع بنيهِ فكان سبب خلافتك يوم عزم الهادي على خلعك وعرّض بنفسهِ للموت حباً بك فمكّنك من السلطان وقام واولادهُ إخوانك باعباء الخلافة وروّنقها احسن قيام من نيّة سليمة وخدمة صادقة (٣

الرشيد   كانت صادقة فسدت منكم السرائر وانكشفت الضمائر. خاتلتموني بالرفق وقاتلتموني بالمكيدة رجاء خلعي عن الخلافة وتولية العلوي بدلاً مني. والله لا اصبر على هذا

يحيى   برئتُ من حول الله وقدرتهِ ان كنت اضمرتُ قط لك ولولدك شرّاً

الفضل   لو كنتَ صادقاً فيما تقول لتقدّمتَ الى العلوي ان يبايع امير المؤمنين

الرشيد   لا يرضى ابن ابي طالب بهذا ولو قُطّع ارباً

يحيى   هاك صكّ مبايعتهِ. فاي سبيل لنقض الامان وسفك دم زكي ؟

---

١) الطبري (٣: ٦١٢–٦٣٤) والفخري (٢٦٦–٢٦٧)

٢) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (٢٤٧)

٣) الطبري (٥٧١ الخ) وابن الاثير (٦: ٣٤) والفخري (٢٧١) والمسعودي (٦: ٢٨٠)

الفضل أتحتمل سيّدي هذه الجرأة ؟
الرشيد ألستُ الخليفة المطلق الحكم في رعيّتي ؟
الفضل أليس لامير المؤمنين ان يفعل ما يشاء . فلا يُعارضهُ احدٌ في احكامهِ ؟
الرشيد ألستُ سيّد الاجسام والارواح ؟
يحيى كلّا
الفضل كفرٌ على غدر
الرشيد ما هذا الكفر !
يحيى ناشدتك الله يا امير المؤمنين لن تعي كلامي . لله وحدهُ السيادة . اقامك على عبادهِ « فاذا حكمتم فاحكموا بالعدل » تذكّر ما نقشتَ على خاتمك « العظمة والقدرة لله » « فكن من الله على حذر » (١
الفضل أيُجيبُ العبدُ سيّدهُ !
الرشيد ما هذه المبادئ الموبقة ! كأني بك تُنكر اني الخليفة
يحيى اعرفك سيّدي ووليَّ نعمتي امير المؤمنين وليس لي سيّدٌ على الارض سواك
الرشيد كذبت وخدعتَ . الموتُ الموتُ جزاؤكَ (سكوت)
يحيى (بهدو) اتقِ الله يا امير المؤمنين فيا ولَّاك من رعيّتهِ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد صدقتُ لك النصيحة ومحضتُ لكَ الطاعة وشددتُ اواخيَ ملكك فسهّلتُ لك الوعور وذلّلتُ الامور وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور وتصدّيت للمهمّات واظهرتُ رونق الخلافة حتى سمّى الناس ايامك ايام العروس (٢ فكم ليل تمّ فيك كابدته

ومقام ضيق فرّجته ببيانٍ ولسانٍ وجَدَلْ

واني وولدي ابرياء مما عزا الينا الكاذبون اعداؤنا واعداؤك . فالله الله في دمنا لا تهرقهُ بظنّ قائل او بغي باغٍ (٣

---

١) الاربلي (٨١) وغيره
٢) الفخري (٢٧٠) والمسعودي (٦ : ٢٨٨)
٣) المسعودي (٦ : ٣٠٢) وابن الاثير (٦ : ٦٥)

الرشيد ليس الامر ظلمًا ولا بغيًا وقد اذلّ جعفر وُلد العباس

يحيى كم من مرةٍ نهيتهُ عن منادمتك. الم اقل لك يا امير المؤمنين اني اكره مداخلة جعفر لك ولست آمن ان ترجع العاقبة علينا منك فلم ترضَ (١. فاي ذنب لي وانتَ اردت ذلك فحدث ما حدث منذ اعوام وندم جعفر على ما فرط

الرشيد لا لا. انتم قوم مردة كفرتم بنعمائي ومرقتم عن ديني ودين آبائي واتخذتم الزندقة لكم محجة وهدُّ اركانِ الدين غايةً. فالقتل القتل جزاؤكم. لا بد من احراق هؤلاء المحرقين (٢ . (يصفّق) مسرور

مسرور لبيك

يحيى سيّدي مهلًا مهلًا. قد دنت منيّتي ولي كلام اقولهُ لك. اني واولادي ابرياء مما عزوت الينا من المكر والخديعة والزندقة. فالدين الدين اوجبَ علينا حفظ العهود اذ كفرتَ انت بها فانّا نومن بالله الواحد الصمد لا جاحدين ولا كافرين ونصدّق كلما انزل الله على اوليائهِ الصادقين. اما الآن فقد تقدّم الخصم الى موقف الفصل وانت على الاثر والله حكم عدل لا يجور فتقدم فتعلم (٣

ستعلم في الحساب اذا التقينا غدًا عند الاله مَن الظلومُ
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبَّهْ للمنيّة يا نؤومُ
الى الديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

الرشيد الحكَم الذي رضيتَ بهِ في الآخرة هو اعدى الخصوم عليك وهو لا يُردُّ قضاؤهُ.

---

١) الخبر الميلاوي (٣٠) قال: «قال ابن جرير: كان يحيى ينهى ابنهُ جعفر عن منادمة الرشيد ويقول لهُ: انّ من خدم الملوك في الاموال والاعمال لا ينادمهم. حتى انّهُ قال للرشيد: يا امير المؤمنين انا اكرهُ مداخلة جعفر لك ولستُ آمنُ ان ترجع العاقبة عليَّ منك». اطلب ايضًا الطبري (٦٧٦) والفخري (٢٨١) وابن خلكان (١٢٤)

٢) يشير الى عبادة النار عند المجوس والى عقاب الزنادقة

٣) ابن عبد ربّه (٢: ٢٣٣) والاربلي (١١٨) وابن بدرون (٢٤٢)

يحيي الى الله فيا ثابنا نرفع الشكوى ففي يده كشف المضرّة والبلوى (١
رضيتُ به وجعلت الله بيني وبينك فهو يأخذ لي غدًا حقّي منك في الموقف
الاعظم

الرشيد مسرور · السيف والنطع · قيد الشيخ

يحيي دعني اذهب الى عيالي فاوصي

مسرور لاسبيل الى الذهاب لكن اوص

يحيي كل مال لي ولولدي فهو صدقة وكل عبد لنا حرّ وكل من لنا عنده وديعة
او حقّ فهو في حلّ (٢

المشهد الخامس

الرشيد · الفضل · المامون · الحسن · الحسين · جبريل (على حدة يحيى مقيَّد يجرُّهُ مسرور) ياسر

المامون (الى يحيي) الى اين تذهب يا جدّ ؟

يحيي الى الموت يا ولدي

المامون قف يا مسرور ناشدتك الله · ابتِ ابتِ (سكوت)

الفضل (على حدة) لا حول ولا . . . من اعلم المامون بالامر · سر يا ياسر وعجّل
بالثورة ولتعلُ الاصوات

المامون يا امير المؤمنين · يا ابتاه

الرشيد ما لك ؟

المامون جدّي يحيي وعمي جعفر بالقيود !

الحسن والحسين · ابونا وجدنا

الرشيد ولدا جعفر ؟

الحسن ولدا عبدك جعفر

المامون استحلفك بالله وبتربة المهدي وبحبك لي

---

١) المسعودي (٦ : ٤٠٥) وابن خلكان (٥٣٠)
٢) الطبري (٦٧٨) والاربلي (١٠٦)

الرشيد من غمط نعمتي واعتدى وصيّتي اعجلتُه عقوبتي (١

المامون استثْبِتهم لعدوك ابتِ

الرشيد وايُّ عدوّ اعدى منهم ؟

جبريل كذب الواشون وحياة سيّدي (٢

المامون وإن كان هناك ذنب فكلُّ ذنبٍ وان عظم صغيرٌ في جنب عفوك

جبريل انهم إخوان دولة امير المؤمنين واركانُ دعوتهِ فليبرّ بهم توسعاً فقد علم الانام انه لا يتعاظمه عفوٌ ولا يتكاءده صفح

الرشيد حدٌّ من حدود الله

جبريل يا امير المؤمنين اجعل رحمتك ذنباً من الذنوب التي تستغفرُ عنها

الرشيد عِظَم الذنوب امات خواطر العفو

الحسين لمين الله هب اولاد يحيى لجودك ليها الملك الهمام (٣

الحسن ارحم ضعفنا وقلّة حيلتنا

الفضل لاتسكن يا امير المؤمنين الى حلاوة ما يجري من القول على السنتهم فان عدتَ عن قصاصهم اذنبت الى الله وهددت ركن الدولة

المامون قبّح الله وجهك يا لعين (٤ ابتِ لا تدع المكرة يسطون على حكمتك ونهاك (سكوت الرشيد مضطربٌ ومتردّدٌ في امرهِ)

[جبريل (على حدة)

ما رمى الدهر آل برمك للّا ان رمى مُلكهم بامر بديع.
ان دهراً لم يرعَ عهداً ليحيى غير راعٍ حقًّا لآل الربيع. (٥]

---

١) ابن عبد ربه (٣:٢٨)

٢) كان جبريل بن بختيشوع يعرف البرامكة فضلهم. اطلب البيهقي في كتاب المحاسن والمساوىٔ (٢٩٦) وغيره

٣) الشعر لابي قابوس النصراني يستعطف الرشيد

٤) اطلب في الجزء السادس من تاريخ بغداد تاليف ابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور ص ١٤ الخ (طبعة كلر سنة ١٩٠٨) اقوال المامون في الفضل بن الربيع وصفاته وسيئاته

٥) المسعودي (٦:٤٠٢)

الرشيد ان الاقدار نافذة والاحكام جارية والبغي حتف الانسان والمكر سهمٌ في نحر صاحبه

(الحسن والحسين يقعانِ متذلّلين على اقدام الرشيد ويقبلانها)

الحسن ابونا جعفر رضيعُك

الحسين يحيى جدُّنا من دعوتَهُ اباك

الرشيد ما اسمك يا قرّة العين ؟

الحسن الحسن

الرشيد وانت ؟

الحسين الحسين

الرشيد واللهِ يعزّ عليّ حسنُكما وجمالكما. لا رحم اللهُ من ظلمكما

الفضل ان في التأخير ندامة

المامون ابت استحلفك بكل ما هو لديك عزيز. بحق حبّك لي

الرشيد ما العمل ؟

الفضل العجلة العجلة. انجز حكمك والّا . . .

ياسر (يدخل) ظئر الرشيد على الباب (١ مع حفيدها جعفر

الرشيد ويحك. امُّ جعفر. امي ! او ساعية ؟

ياسر نعم كاشفة وجهها سادلة شعرها محتفية في مشيها

الرشيد لقد احتضنتني يومَ. انت امي وارضعتني مع الفضل وجعفر فأدعوهـا امي واتبرّك برأيها وقد آليتُ الّا احجبها وان استشفعتني اشفعتُها. ما الحيلة ؟

الفضل لا تأذن لها

الرشيد أدخل حفيدَها ودَعْها

الفضل إن لم أسرعْ باثارة الفتنة خاب سعيُنا (يخرج)

الرشيد ربَّ كبدٍ غذتها وكربةٍ فرّجتها وعورةٍ سترتها

---

١) اطلب ابن عبد ربه (٣:٢٨-٢٢) وغيرهُ من المؤرخين تجد وصف هذا المشهد

المشهد السادس

المثلون الحاضرون وجبغر

الرشيد ما شأنُ جدّيك امّ الرشيد ؟

جعفر هذا ما تقوله لك : ايعدو علينا الزمان ويجفونا الاعوان ويمكرُ بنا الخوان وقد ربيتُك في حجري واخذتُ برضاك الامان من عدوّي ودهري؟

الرشيد وما ذاك ؟

جعفر ظئرك وابوك بعد ابيك واخوك جعفر رضيعك ووزيرك ونديمك (١

الرشيد امرٌ قضاؤهُ سبق وغضبٌ من الله نفذ

جبريل يمحو الله ما يشاء

الرشيد وهذا مما لم يمحُهُ الله

جعفر الغيب محجوب على النبيين فكيف عنك ؟

الرشيد فاذا المنيّة انشبت اظفارها   الفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

الحسين ما لمّ الرشيد ليحيي وجعفر بتسمية يا امير المؤمنين

الحسن وقد قال الاوّل :

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد   ذخرًا يكون كصالح الاعمالِ

المامون ابتِ . أذكرْ خدمتهم وارحمْ حالهم وهَب لهم رضاك

الرشيد اذا انصرفت نفسي من الشي لم تكَدْ   اليهِ بوجهٍ آخر الدهرِ تُقبلُ

جبريل ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتَهم   يمينك فانظر ايَّ كفٍ تبدّلُ (٢

الحسن قل للخليفة ذي الصنائـ   ـم والعطايا الفاشيهْ
وابن الخلائف من قريشٍ   م والملوك العاليـهْ
ان البرامكة الذين   م رُمُوا لديكَ بداهيهْ
عمّتهمُ لـك سخطةٌ   لم تبقِ منهم باقيهْ

١) الطبري (٥٧٢)
٢) المسعودي (٥ : ٤٦١)

فكأنهم مما بهم أعجازُ نخلٍ خاويهْ
صُفرُ الوجوه عليهم خلعُ المذلّة باديهْ
بعد الامارة والوزارة والامور الساميهْ
اضحوا وجلُّ مناهمُ منك الرضا والعافيهْ

الحسين يا عطفة الملك الرضى عودي علينا ثانيهْ

الرشيد يا آل يرمك انكم كنتم ملوكاً عاتيهْ
فعصيتمُ وطغيتمُ وكفرتمُ نعمائيهْ
هذه عقوبة من عصى مَن فوقهُ وعصانيهْ(١
« قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

جعفر (يفتح حقاً ثميناً كان يحمله)

الرشيد ما هذا ؟

جعفر ذوائبك وثناياك غمستها جدّتنا في المسك وحفظتها تبرّكاً

الحسين كم من مرّة قبّلناها ودعونا لك بالبقاء (الرشيد يلثم الحقّ ويبكي)

المأمون تحنَّن ابتِ

الحسن نستشفع اليك ونستعين بالله عليك بما صار معنا من كريم جسدك وطيب جوارحك

الرشيد ان الله يأمركم ان تردّوا الامانات الى اهلها (يريد ارجاع الحق الى جعفر)

الحسن ولله يقول « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »

جبريل « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٢

(صراخ من الخارج :) يحيي والبرامكة . . نطلب حياة البرامكة

الرشيد ما هذا ؟ (يدخل الفضل)

---

١) والقصيدة طويلة . اطلب الاتليدي (١٧٦) وابن عبد ربّه (٣ : ٢٣) والعباس المكي (نزهة الجليس ١ : ٢٢٦) وابن بدرون (٢٤٠) والبيهقي (المحاسن والمساوئ ٥٢٣) الخ
٢) ابن عبد ربه (٣ : ٢٧) والاغاني (١١ : ٥٤)

الفضل ان مدينة السلام قامت فيها الثورة على قدم وساق والجميع يريدون المبايعة بالخلافة لصاحب البرامكة

الرشيد (يرمي بالحق الى جعفر) خذ يا مسرور الق بيحيى في حبس الزنادقة (١ وضيّق عليه وائتني برأس جعفر ولا تراجعني (٢

يحيى يا من لا يموت ارحم من يموت (٣ (يخرج مع مسرور)

الرشيد (للفضل) هات الصك بإبادة البرامكة عن آخرهم (يختمه) جنّد الجنود حول منزلي وفرّق الجموع ولو ضرباً وقتلاً

الفضل نعم

الرشيد وبث العيون في طلب العلوي وابنه عبد الله وانس ابن ابي شيخ (٤ وابراهيم بن عثمان (٥ وكل من انتمى الى البرامكة. فلا امان لاحد منهم

المامون ابي

الحسن والحسين. ارحمنا

الرشيد يعزّ عليَّ حسنكما وجمالكما. لكن (على حدة) لا بُدّ من قتلكما مع ابيكما وامكما

الحسن يا لله

الحسين نموت جميعاً! يا لله!

الرشيد (لياسر) إلحقني بالحسن والحسين مع بعض الخدم الى مخدع اختي العباسة لانجاز مرامي

ياسر نعم سيّدي

الرشيد ومن ذكر البرامكة فلأصنعنّ به وأشأنّ — (للمامون) تعال

المامون دعني ابك (يخرجون جميعاً)

الفضل فزنا بالمراد (يخرج)

---

١) ابن خلكان (١٣٥) ٢) الاتليدي (١٧٤) وسائر المؤرخين

٣) كلمة قالها المأمون عند موته. اطلب المسعودي (٢ : ١٠٠–١٠١) وابن العبري (٢٣٥)

٤) الطبري (٦٨١) والاربلي (١٠٧) وابن الاثير (٦ : ٦٥–٦٦)

٥) الطبري (٦٦٦)

المشهد السابع

الحسن . الحسين . جعفر . ياسر

جعفر الى اين ذاهب بهما ؟ (الحسن والحسين يتعانقان وينوحان)

ياسر اما سمعتَ ؟ الى الموت

الحسن اموت ولا اقبل امي الحبيبة

الحسين اموت ولا ارى ابي آخر نظرة

الحسن لا اريد ان اموت

جعفر (يناجي نفسه) هذه ساعتك يا ابن علي . (الى ياسر) دعني اقوم مقام احدهما

ياسر لا سبيل الى ذلك

الحسين تموت حباً بنا ! لا لا

الحسن انا افديك بروحي !

جعفر اهربا واتركاني مع ياسر

الحسن والحسين . لا لا

ياسر هذا ما يفتت الاكباد — (الى جعفر) ودّع اخويك واذهب عاجلاً

جعفر سأخلّصهما او اموت

ياسر لا سبيل الى ذلك

جعفر هذا خاتم الوزير قيمتهُ اموال . استرْ عليّ يسترِ الله عليك

ياسر بيأن عندي . . ان لم يرجع الحسن فجعفر بدلاً منه

الحسين لا اريد ان اموت

الحسن وانا لا اريد

جعفر (للحسن) خذ ردائي واخرج حالاً

الحسن لا . لن تموت عوضاً مني !

الحسين لا ادع اخي يموت وحده

الحسن (لاخيه الحسين) اهرب ودعني

الحسين اذهب انت وانجُ

الحسن انجُ انت انك الاصغر

جعفر سر مسرعاً فان جدتك بانتظارك عساك تخلصهما وتخلصنا

الحسين الحق بالمامون صديقك وسل الرشيد خلاصنا

الحسن سأذهب عساني اخلصهم واخلصكم او اعود فاموت معكم (١ (يخرج)

ياسر (للحسن) عجّل

جعفر اخي الحسين

الحسين انت يا جعفر تقوم مقام اخي (يتعانقان)

جعفر سنموت سوية

الحسين ما اصعب الموت . يا ربّ قوّني .

ياسر لا بد من الاسراع والّا عرف الرشيد ان الحسن قد نجا

جعفر تقتلني!

الحسين عجّلتَ يا ياسر عجّلت

ياسر لا بد (يسّل خنجراً ويذهب بجعفر والحسين الى ما وراء الستار)

جعفر يا من لا يموت ارحم من يموت

(غناء محزن يليه صوت الحسين عن بعد:)

الحسين يا من لا يموت ارحم من يموت (٢

---

١) نقل المستشرق كاترمير (Quatremère) في المجلّة الاسيويّة (Journal Asiatique I, 1861) عن كتاب ديوان الانشاء ان احد ولدَي جعفر من البأسة نجا من الموت واليه ينسب حي من احياء ربيعة . واخبر النويري ان الامير شهاب الدين احمد كان يدّعي انهُ من نسل جعفر والعباسة . والله اعلم

٢) كانت نكبة البرامكة ليلة السبت اوّل صفر سنة ١٨٧ هجريّة (الطبري ٦٨٥ وغيره)

قانونيّة الاسفار الثانية

للاب انطون رباط اليسوعي

سبق لنا شرح موضوع هذا البحث في مقالتنا الاولى (المشرق١٢: ٨٠٠ ثم ١٣: ٣٢٦) وهو ان الاسفار الالهيّة في العهد العتيق على قسمين: قسم كُتب باللغة العبرانيّة ولا يزال محفوظاً في هذه اللغة وهذا يقبلهُ اليهود والنصارى بلا نزاع ككتاب الله الموحى بهِ عزّ وجل ولا ينكرهُ مسيحي. وقسمٌ فُقد نصّهُ العبراني الاصلي (١ او أُنزل باللغة اليونانيّة فحفظهُ لنا اليهود الاسكندريّون في مجموعتهم اليونانيّة المسمّاة المجموعة السبعينيّة. فبحثنا عن هذا القسم الثاني: هل الاسفار التي لم تُحفظ في النسخة العبرانيّة (وهي طوبيا ويهوديت والحكمة وابن سيراخ وباروخ وسفرا المكابيين ومقاطيع من سفرَي دانيال واستير) هي اسفار منزلة من الله او موحى بها من الله بحصر المعنى على مثال الاسفار المقبولة من الكنيسة ككلام الله او انّ تلك اسفارٌ مفيدة تقويّة لكنّها ليست كلام الله بحصر المعنى بل كلام البشر كغيرها من المؤلفات. وهذه الاسفار قد سمّاها بعض المؤلّفين اللاتينيين في القرن السادس عشر الاسفار الثانية ليميّزوها عن الاسفار الاولى المحفوظة في التوراة العبرانيّة

﴿ قانون اليهود ﴾ تضاربت الآراء في حقيقة القانون اليهودي للاسفار الالهيّة ومحتوياته. فشكّ الفلسطينيّون بوحي الاسفار الثانية لانهم لم يتثبّتوا سلسلة الانبياء الملهمة لهذا الوحي كما اخبرنا يوسيفوس المؤرّخ اليهودي الفلسطيني (٢ من مواطنيهِ ومُعاصريهِ. امّا اليهود الاسكندريون فقد ذهب قوم من العلماء المدقّقين انهم كانوا يعتقدون انزالها وانّها من الوحي هي والاسفار العبرانيّة على حد سواء. قال العلّامة البروتستنتي داڤيدسون (٣: « انّ مسلك اليهود اليونانيين ونسخ توراتهم تؤكد انهم كانوا يعتبرون الاسفار الاولى والثانية على حد سواء في الاجلال والاكرام » ويؤيّد ذلك

---

١) الأَ سفر ابن سيراخ الذي اكتشف العلماء آخراً قسماً منهُ بالعبرانيّة

٢) اطلب ردّهُ على ابيون Josephus contra Appionem, l. I, éd. Didot, II, 141

٣) اطلب كتابهُ في تاريخ القانون Davidson : The Canon of the Bible, London 1877, p. 181..

انهم كانوا يقرأونها في مجامعهم ويضمّونها الى مجموعتهم لا كذيل مُلحق بها بل كقسم منها ويدافعون عنها بالنفس والنفيس دفاعهم عن كتاب الله . هذا ما اثبته الرّبان زونز (Zunz) الاسرائيلي وغيره من علماء التلمود

ولكن من اين هذا الاختلاف بين سكّان اورشليم وضواحيها وبين اليهود المشتّتين في الامصار ؟ ذلك سؤال لا يورد عليه العلماء جوابًا شافيًا . والذي يرضى به الكثيرون هو ان اليهود المتغرّبين قد اخذوا هذه الاسفار عن اخوانهم الاورشليميين ونقلوها الى لغتهم ومجموعتهم فحفظوها مصونةً . امّا نصّها الاصلي فقد فقدهُ الفلسطينيون لاسباب نجهلها ومن ثمّ ابطلوا قراءتها في الحفلات وجعلوا يضربون عنها صفحًا حتى اصبحوا يشكّون في وحيها لان التلاوة في المجامع كانت لديهم اثبت برهان عمليّ للوحي . وعلى إثر انتشار الدين النصراني واستمرار الجدال بين المسيحيين وبين اليهود في النبوات المثبتة للاهوت المخلص جعل هؤلاء ينكرون صدق الترجمة السبعينيّة ويحطّون من اعتبارها ولا يرضون الّا بما حُفظ نصّهُ مصونًا في توراتهم العبرانيّة نابذين التراجم بما فيها . حتى اضطرّ اوريجانوس ان يجمع مجموعتهُ البديعة للنصوص الكتابيّة فعيّن ما يمكن استخدامه للجدال مع اليهود وما ينكرون وحيَهُ فلا يرضون بهِ برهانًا

ومهما كان من امر اليهود فان قانون الاسفار الالهيّة قد سلّمهُ المسيح وديعةً الى كنيستهِ المعصومة عن الغلط . فمن تعليمها وحكمها نستقي ينبوع الخلاص ومعرفة الحقيقة . فان كان اليهود مع عظم اجلالهم لهذه الاسفار لم يثبت لديهم وحيُها كما شهد يوسيفوس فقد أُزيل الشك بالحكم الذي اشهرهُ الرسل الاطهار كما سترى

١

﴿ قانون كَتَبة العهد الجديد ﴾ اعتاد كتبة العهد الجديد ان يشيروا الى مجموعة معروفة في ايامهم يسمونها « الكتابة » او « الكتابات » او « الاسفار » τὴν γραφήν, τὰς γραφάς عنها يأخذون الآيات النبويّة نقلًا بالحرف او ينتحون الى النصوص تلميحًا لكنّهم لم يصرّحوا بمحتويات هذه المجموعة . اجل ان اسنادهم يثبت وحي الاسفار المنقول عنها لكنهم لم يسندوا اية الى سفر عوبديا ولا نحوم ولا الى نشيد الاناشيد ولا الجامعة ولا استير ولا عزرا ولا نحميا وهي كلها اسفار اوّلية يقبلها اليهود والمسيحيون معًا . ومن طرف آخر يشير الكتبة الملهمون من الله الى نصوص مأخوذة من

الاسفار الثانية كما اثبت ذلك كثير من العلماء البروتستنت انفسهم مثل ستير (Stier) وبليك (Bleek) وفرنر (Werner) وغيرهم. قال فرّار (Farrar) المعلّم البروتستنتي (وهو من الكتابيين المهتمين في أيامنا) في شرحهِ على رسالة بولس الى العبرانيين ان بين وصف الحكمة الالهيَّة في سفر الحكمة وبين وصفها في الرسالة الى العبرانيين شبهاً هذا حدُّهُ حتى ان قوماً ذهبوا الى ان المؤلف واحد (١. وقال في موضع آخر ان كتبة العهد الجديد كانوا يتداولون مطالعة هذه الاسفار وألفوها (٢ واردف قولهُ: قابلْ مثلاً آية الرسول في النصّ اليوناني (عبر ١: ٣) حيث وصف الابنَ الوحيد ضياء مجد الاب وصورة جوهرهِ ووَصْفَ صاحب سفر الحكمة للحكمة الالهيَّة المراد بها اقنوم الابن حيث قال (٧: ٢٦) انها ضياء النور الازلي ومرآة عمل الله النقيَّة وصورة جودتهِ. قابل ايضاً بين قولهِ في الرسالة الى العبرانيين (١١: ٣٤) وسفر المكابيين الثاني (٦) وبين رسالة يعقوب (١: ١٩) وابن سيراخ (٥: ١٣) الخ تجد تلميحاً صريحاً يثبت معرفتهم لهذه الاسفار واستعمالهم لها

هذا واذا نظرنا الى ذات النص الذي كان الرسل والانجيليون يتداولونه استنتجنا ما مرادهم بالمجموعة المقدسة او الكتاب المقدس. فان الآباء القديسين سبقوا واكّدوا ان كتبة العهد الجديد كانوا ينقلون نصوصهم حسب النص السبعيني. قال القديس ايريناوس تلميذ القديس بوليكربوس في كتابه الثالث ضد الهرطقات (٣ داحضاً من ينكر من الهراطقة النص السبعيني «ان المبتدعين اذا ما نقلنا الآيات كما ترجمها السبعون شيئاً يعارضوننا بقحة طالبين نصاً آخر». ثم قال: «ان الرسل الابرار يتفقون تمام الاتفاق مع هذه الترجمة وهي تتفق مع التقليد الرسولي فان بطرس ويوحنا ومتى وبولس والآخرين ثم الذين خلفوهم قد بشّروا بالبشارة كما هي في ترجمة اولئك الشيوخ». وقال اوريجانوس العلامة في القسم الثامن من شرحه على الرسالة الى الرومانيين: «يجب ان نعلم ان الرسل قد تبعوا في كل نصوصهم تقريباً الترجمة السبعينيَّة...» (٤ واقرّ

١) في قولهِ هذا مبالغة لا نرضى بها البتَّة لكنَّها تؤيد زعمنا اطلب ص ٥٦ من كتابهِ في الرسالة الى العبرانيين HEBREWS, Farrar (Cambridge Bible.) *London*, 1902.

٢) Which reveal familiarity with this literature

٣) اطلب مجموعة آباء اليونان لمين (Migne, PP. GG. VII, 905)

٤) مجموعة مين (Ibid. XIV, 1174, 1265)

القديس ايرونيموس المدافع اشد الدفاع عن النص العبراني ان المجموعة السبعينية هي « الترجمة المستحسنة والمقررة من الرسل » (١ وامثال هذه الشهادات كثيرة. وقد اثبت علماء زماننا هذا الحكم فبيّنوا ان بين الثلثمائة وخمسين نصاً بالتقريب التي نقلها كتبة العهد الجديد عن العتيق او ألمحوا اليها تجد ثلثمائة ونيّف منقولة عن المجموعة السبعينية ونحواً من خمسين عن المجموعة العبرانية. فمن السبعينيّة نقل بطرس ويعقوب ولوقا كلّ نصوصهم ونقل عنها بولس ويوحنا ومتى اكثر النصوص

ومن ثم نقول: ان ما لا ريب فيهِ ولم يُنكَر ان هذه المجموعة السبعينية كانت في زمن الرسل كما هي الان تضم الاسفار الاولى والثانية على حدّ سواء. وهذه المجموعة هي التي سلمها الرسل للكنيسة كمجموعة الكتاب المقدَّس المنزل من عند الله وحفظتها الكنيسة دون تغيير البتة. ومن ثم وجب الاستنتاج ان هذه المجموعة تحتوي اسفار الله الموحى بها منهُ عزَّ وجلَّ وبالتالي ان الاسفار الثانية موحى بها من الله كالاولى على سواء.

ويمكننا ان نعرض هذا البرهان بنوع آخر: يثبت التاريخ انهُ منذ زمن الرسل الى ايامنا اعتادت الكنيسة الجامعة في الشرق والغرب عادةً عامّةً وثابتةً وغيرَ منقطعة ان تجمع في مجموعة واحدة تسميها الكتاب الالهي الاسفار الاولى والثانية معاً بلا اشارة ولا ميزة ولا تفضيل بين سفر وسفر. ولما كان لا يمكن تعليل عادة كهذه الّا عن التسليم الرسولي وجب القول ان الرسل قد سلّموا الكنيسة هذه المجموعة مثبتين ضمناً انها بتمامها ومحتوياتها هي كتاب الله. والّا فقد عرّضوا الشعب المسيحي لخطر عظيم وهو ان يقبل ككلام موحى بهِ من الله ما كان الله بريئاً منهُ — وحاشاهم من ذلك وهم شهود عدل اقامهم المخلّص ليثبتوا بالبشارة والكتاب الالهي حقيقة دينهِ القويم — وكان الواجب على كنيسة المسيح ان تفرز في مجلّداتها بين اسفار الله واسفار البشر على عادة اليهود انفسهم لان كلام الله معصوم عن الضلال والانسان ايًّا كان معرَّض للغلط. ويؤيد برهاننا ان اكثر الداخلين في الدين النصرانيّ لم يكونوا يستطيعون الّا مطالعة الترجمة

(١ وهذا نصّهُ بالحرف Versionem ab Apostolis approbatam, *Migne*, PP. LL. XXV, 1292)

السبعينيَّة كالخدي الحبشي وابلُّوس الاسكندري « الطويل الباع في معرفة الاسفار الالهيَّة » (اعمال ٨ : ٢٧ و ١٧ : ١١ و ١٨ : ٢٤) وغيرهما من سكَّان رومية وتسالونيكي وافسس الخ. فلو كانت هذه المجموعة مختلَّة تخلط بين كتب الله وكتب البشر لوجب على الرسل وعلى من جاء من بعدهم ان يفرزوا بين هذه وتلك ويبيّنوا بتعليمهم او استعمالهم انهم يعتبرون هذه الهيَّة وتلك بشريَّة. هذه قاعدة للايمان وتلك ارشاداً مفيداً. ولكننا لا نجد نصاً او اشارة او عملًا يطلعنا على هذا التمييز او بالحري نجد خلاف ذلك اي ان الاباء الأوَّلين خلفاء الرسل كانوا يستعملون كلا النوعين من الاسفار ككلام الله. وهذا يقودنا الى البحث في راي الاباء في الاسفار الثانية

﴿ قانون الآباء الاوَّلين في القرون الثلاثة الاولى ﴾ لا ريب ان الكنيسة الجامعة معصومة في تعليمها واذا اتَّفق معلّموها على تقليد ثابت صريح في امور الدين كان اتّفاقهم برهاناً تعليميًّا لا ينكرهُ مسيحي (اطلب مقالة سيادة الاسقف رفائيل هراويني في الكلمة ٥ : ١٠٤ سنة ١٩٠٩) من عصمة الكنيسة المسيحيَّة ومجامعها المسكونية وهو يوافقنا في ذلك

ولهذا البرهان الابوي التقليدي شروط اخصُّها ان يكون الآباء متفقين اتفاقاً شاملًا او يكاد ان يكون شاملًا لان العصمة لجماعتهم لا لبعضهم. نعم قد يضلُّ هذا وذاك لاسباب شخصيَّة او مكانية اما جهلًا بالتقليد واما استنتاجاً علميًّا مغلوطاً لقضية نظريَّة فيخالف فيها معتقد معاصريهِ ومسالكهم التقليدي ويبقى غلطه الشخصي محصوراً في مكانهِ وزمانه لا يتعدَّاهما حتى اذا ما أُعيد النظر في الموضوع او نُقّب في حقيقة التقليد ساد الحق وازهق الباطل. ولمَّا كانت مسائل التقليد الكنسي غايتها استطلاع التعليم الذي سلَّمهُ الرسل الاطهار للكنائس التي اسَّسوها ازدادت اهمية الشهادات باقتراب عهدها من الرسل ومعاصريهم

فاذا ما استقرينا كل ما اورثنا آباء القرون الثلاثة الاولى من المقالات والآثار والعوائد في شأن الاسفار الالهية الثانية مثلًا رأيناهم متّفقين في اجلالها واعتبارها اذ يصفونها بذات العبارات التي اعتادوها في نقل آيات الاسفار الاولى كقولهم: « جاء في الكتاب. يقول الكتاب الالهي. يحكي النبي. يتكلَّم الروح القدس. نقرأ في الكتابات الالهية » الخ ويخلطون بينها وبين غيرها من ايات الاسفار الاولى ويسندون اليها اقوالهم

في المباحث الاعتقاديّة والارشادات الادبية جاز او بالحرى وجب علينا ان نستنتج انهم يؤمنون بان الله اوحى بها كغيرها من الاسفار لتعليم البشر وتهذيبهم. ولا يمكننا ان نعزو الجهل لهؤلاء الشهود الاجلاء كما فعل كثير من البروتستنت كأنَّ الآباء لم يتروّوا حق التروّي في مسلكهم. تلك تهمة لا يفتريها عليهم الّا من انكر اساس التعليم المسيحي فالآباء والمعلّمون قد اخذوا خلفاً عن سلف عادةً لم يحيدوا عنها وهي برهان صريح لما استلموهُ من الرسل الاطهار انفسهم في شأن الاسفار الالهية

وقبل ان نورد شهاداتهم يجب ان نستلفت نظر القارئ الاديب الى امور هامّة وهي: ١ً ان الآثار القديمة المحفوظة قليلة بالنسبة الى ما حفظته لنا الاجيال التابعة — ٢ ان الآباء الاوّلين كثيراً ما كانوا يتباحثون مع اليهود المعارضين للنصرانية او يرشدون الداخلين حديثاً من الدين اليهودي الى الدين المسيحي ومن ثم كانوا ولا شك يؤثرون الاستشهاد بما كان اليهود يقبلونهُ بلا تردُّد — ٣ً ان الآباء لم يستشهدوا بكثير من الاسفار الاولى ذاتها لانهم كانوا يأتون بالآيات حسب حاجات الظروف والشعب الموكولة اليهم عنايته — ٤ً ورغماً من كل هذا نجد في جدولنا التالي نصوصاً كثيرة تثبت اعتقادهم بوحي الاسفار الثانية وان كنّا لم نذكر الّا القليل من الكثير

١ (القديس اكليمنتوس) ويقال اكليمنضوس واقليميس الحبر الاعظم الروماني تلميذ الرسل والجالس على كرسي بطرس الهامة في اواخر القرن الاوّل للمسيح واوائل القرن الثاني. وما من احد يجهل ما كان لرسائله في الاجيال الاولى من الاعتبار والاجلال كمعاصر للرسل ورأس الكنيسة. ففي رسائله نصوص من سفرَي الحكمة وابن سيراخ في عداد الآيات الكتابيّة المأخوذة من سفر الامثال وغيره من الاسفار الأوليّة. وقد ذكر اخبار طوبيا ويهوديت واستير وسوسان في ما ذكر من اخبار العهد القديم ومن مرويّاته في رسالته الاولى آيتان نقلهما من سفر الحكمة (١٢:١٢) والحقهما بنص المزمور ١٨ «السماء تذيع مجد الله». وغير ذلك كثير تجده في مين في مجموعة الآباء اليونانيين (١: ٢١٥ و٢٦٧ و٣١٩) وجداول العلّامة فونك (Funk) في ذيل مجموعته المعتبرة للآباء الرسوليين

٢ (القديس برنابا) في الرسالة المعزوّة للرسول برنابا والتي يرتقي تاريخها الى سنة ١٢٠ مسيحيّة نجد آية منقولة بالحرف الواحد عن ابن سيراخ (٣٦:٤) وهي قوله:

لا تكن يدك مبسوطةً للأخذ مقبوضة عن العطاء. وهو يلمح مرّتين الى سفر ابن سيراخ (اطلب Funk ١:٥٤و٩٥)

٣ (هرماس) (١٤٠–١٥٠م) له رسالة جليلة موسومة باسم «الراعي» ذكر فيها آيات قليلة من العهد العتيق لكنّك ترى فيها مرّة او مرّتين تلميحاً الى نصوص ابن سيراخ كما اثبت فونك في جدوله

٤ (القديس بوليكربوس) (+ نحو ١٥٥) الشهيد المعظم تلميذ يوحنا الحبيب في رسالته الى اهل فيلبس (عدد ١٠) نقل نصاً من طوبيا (٤:١٠) في جملة آيات اخرى من العهدين العتيق والجديد (جدول فونك ١:٣٠٩)

٥ (القديس يوستينوس) الفيلسوف الشهيد (+ نحو ١٦٧) في جداله مع تريفون اليهودي يذكر خصمهُ مراراً بالاسفار الالهية التي يمكنهُ استعمالها لاثبات لاهوت المخلّص لكنهُ يضرب عنها صفحاً في الجدال لئلا ينكرها عليهِ اليهودي ولذا يسند اقوالهُ عادةً الى الاسفار الأوليّة المقبولة من الخصم وقد ذكر مع ذلك بين الايات المتزلة نصاً في الجدال هو هذا: «فلنكمُن للصديق فانهُ ثقيل علينا يُقاوم اعمالنا ويُقرّعنا». وهو مأخوذ من سفر الحكمة (٢:١٢) اطلب مجموعة مين (٦:٦٤٣ و٦٦٢ و٧٥٦ الخ)

٦ (اثيناغوراس اليوناني + ١٧٧) في الآثار القليلة الباقية من اعماله يستشهد بآية من الاسفار الثانية كما ترى في مجموعة مين (٦:٩٠٨)

٧ (القديس ايريناوس الشهيد (+ ٢٠٢) الذي تتلمذ لبوليكربوس تلميذ الرسول يوحنا وهو من اجل الشهود الرسوليين ينقل نصاً من سفر الحكمة ويقبل باروخ ومقاطيع دانيال كاقوال الانبياء. اطلب كتابهُ في الهرطقات في الجزئين الرابع والخامس (مين ٧:٩٨٤ و١٠٣٦ و١١٠٨ الخ) والشهادة المنقولة عنهُ ص ١٣٨

٨ (اكليميس الاسكندري ٢١٧) الشهير بمعارفهِ الكتابيّة تجده في كتاب «المعلم» وفي كتاب «منتخباته» يستشهد في كل صفحة بعدد من آيات الاسفار الاولى والثانية بقولهِ عن هذه وتلك على حد سواء «قال الرب» «قالت الحكمة» (ἡ Σοφία اي الحكمة الالهيّة) قال «المعلم» (ὁ παιδαγωγός اي الكلمة الالهية) وقد احصى بعضهم الآيات الثانية التى استشهد بها صريحاً في قسم من مؤلفاته فوجد نحواً من ٥٠ آية من سفر الحكمة و٦٠ من ابن سيراخ و٣ من طوبيا و٢ من يوديت

و ١ من المكابيين (مين ٨: ٣١٣ و ٣٥٧ و ٩٦٦ و ١٠٨٩ الخ)

٩ (القديس هيبوليتوس) الشهيد (+ نحو ٢٣٥) تلميذ القديس ايريناوس. وهو اوّل من شرح الاسفار الالهيّة من الغربيين تراهُ في الآثار الباقيـة من مؤلّفاته يشرح المقاطيع الثانية كغيرها من الفصول الكتابيّة ويستشهد بالحكمة وبغيرها من الاسفار في كتابهِ التعليمي المعنون « اثبات الدين المسيحي ضد اليهود » (مين ١٠: ٦٨٦ و ٧٦٦ و ٧٩٣ و ٨٠٥ الخ)

١٠ (ترتليانوس المعلم) الذي اشتهر في اواخر القرن الثاني والثلث الاوّل من الثالث ينقل آيات عديدة من يهوديت والحكمة والمكابيين الخ ذاكرًا بصريح الكلام اصلها الالهي كما اعتاد في غيرها من النصوص الكتابيّة. (مين ٢: ٢٠ و ٨١ و ٢٥٣ و ٢٦٥ و ٩٦٠ وغيرها كثير)

١١ (الرسومات الرسوليّة) يرتقي عهد الاقسام الستّة الاولى منها الى اواسط القرن الثالث وهي تنقل آيات من كل الاسفار الثانية خلا المكابيين مستشهدةً بها استشهادها بغيرها من آيات الكتاب المقدّس

١٢ (القانون المسمّى الكلاراموتي Codex Claramontanus) كُتب في اواسط القرن الثالث ونشرهُ لاوّل مرّة العلّامـة تيشندورف (اطلب صورتهُ الفوتوغرافية في معجم الكتاب المقدّس لفيغورو (٢: ١٤٨)) وهو جدول الاسفار الالهيّة القانونيّة المقبولة من الكنيسة المسيحية في اواسط القرن الثالث وهو يعدّد كل الاسفار الثانية كما تقبلها الآن الكنيسة ويحصي اسطر كل سفر بالتقريب

١٣ (اوريجانوس) الشهيد تلميذ اكليمنس الاسكندري أعلم العلماء في الاسفار الالهية وصاحب المقابلة الجليلة بين نصوص الكتاب المقدس. يستشهد بآيات عديدة من الاسفار الثانية ويسميها الكتاب المقدّس والسفر الالهي والكلام الالهي كما يسمّي غيرها من الاسفار الاولى وقد احصى بعضهم هذه الايات فاذا بهِ قد استشهد ١٠ مرات بطوبيا و ٣ بيهوديت ونحوًا من ٢٠ مرّة بالحكمة و ٧٠ بابن سيراخ ومرّة بسفر المكابيين الأوّل و ١٥ مرّة بسفر المكابيين الثاني وذلك في مقالاتهِ الجداليّة ضد قلسوس (Celse) وفي شروحهِ على الكتاب المقدّس. ومن اقوالـهِ في اليهود الذين ينكرون بعض اسفار من الكتاب انهُ « يجب علينا ان لا نُصغي لاقوالهم وخزعبلاتهم

ولن نعتبر كتاباً مقدساً الهياً ما نقلهُ لنا التراجمة السبعون لان هــذا هو الكتاب الذي اثبتتهُ السلطة الرسولية (مين ١١:٥٦)

وقال عن خيرنسوسان « ان الاشرار قد قطعوه من الكتب المنزلة لكننا نقبلهُ مُنزلًا ونستعملهُ برهاناً في وجههم » (مين ١٢:٠٥-١٠)

وقال في السبب الذي لاجلهِ جمع مجموعتــه مقابلًا بين النصوص الكتابيَّة انهُ ليست غايتهُ ان يُتعلَّم الكتاب الالهي من اليهود لكنهُ اراد ان يعرف المسيحي كيف يجادلهم فيورد لهم الايات المقبولة في نسخهم لئلا يهزأوا بنا كأننا نجهل ما في ايديهم وما في ايدينا . هذا ملخص كلامهِ (اطلب نصهُ الكامل في مين ١١:٦٠)

وقال ايضاً (مين ١٢:٧٨٠) مبيناً السبب الذي كانت لاجلهِ تقرأ الكنيسة الاسكندريَّة بعض الاسفار على الموعوظين بمعزل عن غيرها : « ان في كلام الله يوجد ما هو شبيه بالحليب في الطعام الجسدي اعني بذلك التعليمَ الواضحَ السهل كما هي التعاليم الادبيَّة التي تُعطى عادة للمبتدئين في الدروس الالهية فاذا قُرئ على مثل هؤلاء شيءٌ من الاسفار الالهيَّة لا صعوبة فيهِ كما هو سفر استير او يهوديت او طوبيــا او سفر الحكمة يقبلونهُ بطيبة خاطر . اما اذا تُلي سفر العدد فينفر ذوقهم من طعامهِ »

ورغماً عن هذهِ البراهين المثبتة رأي اوريجانوس قد اعترض بعض البروتستنت بنص اورد فيهِ اوريجانوس جدول الاسفار الاولى ضارباً عن الثانية صفحاً ولكنهم لو قرأوا الفقرة بتمامها لفهموا ان هذا المعلم يتكلم عن قانون اليهود لا قانون النصارى . قال (مين ١٢:١٠٨٤) : (Οὐκ ἀγνοητέον ὅτι καὶ τὸ εἶναι τὰς ἐνδιαθήκους βίβλους, ὡς Ἑβραῖοι παραδιδόασι, δύο καὶ εἴκοσι, ὅσος ὁ ἀριθμὸς τῶν παρ᾽ αὐτοῖς στοιχείων ἐστίν) ومعناها : « لا يجب ان نجهل ان الكتب القانونيَّة كما يعتبرها اليهود اثنان وعشرون على حساب الحروف الابجديَّة عندهم » . وبعد ان ذكرها ختم كلامهُ بقولهِ : « هي اذاً اثنان وعشرون حسب اليهود » وهكذا يُحلّ المشكل بكل سهولة

٤ (القديس قبريانوس) الشهيد (+ ٢٥٨) لا تكاد تجد صفحة من مؤلفاتهِ الّا ويستشهد فيها بآيات من الاسفار الثانية مصدّرًا ذلك بقولهِ : « يتكلم الروح القدس في الكتاب المقدَّس » « يعلمنا السفر الالهي قائلًا » الخ . ففي القسم الاوَّل فقط من كتاب « الشهادات » المنتخبة من الاسفار الالهية ضد اليهود وفي رسالتهِ لفورتوناتو

عن « الاستشهاد » ينقل ١٤ آية من سفر الحكمة و٢٢ اية من ابن سيراخ و٨ من سفرَي المكابيين و٥ من طوبيا الخ وهو يصف كتابهُ بقوله « انهُ يريد ان يجمع التعاليم الالهيَّة التي تنازل الله وعلمنا اياها في الاسفار التي اوحى بها لنخرج من ظلمات الضلال الى نور الحق » الخ (مين ٤ : ٦٥١—٧٨٠) . حتى انهُ اراد ان يثبت وجوب اعادة العماد المعطى من الهراطقة (اطلب مقالتنا في المشرق ١٣ : ٨٩) باية ابن سيراخ (٣٤ : ٣٠) « من اغتسل من لمس الميت ثم لمسهُ فماذا نفعهُ غسلهُ » فقد غلط في معنى الآية لكنهُ شهد بان السفر الذي استند اليهِ هو سفر الهي منزل

١٥ (القديس ديونيسيوس) الاسكندري (+ ٢٦٤) في الآثار الباقية من مقالهِ للدفاع عن التعليم الخلاصي ضد بولس الشُّميصاطي يستشهد مرارًا بسفر الحكمة وبطوبيا وابن سيراخ لاثبات عقيدة الايمان (اطلب اعماله طبعة دي ماجستريس ص ٢٤٥ و٢٦٦ و٢٧٤)

١٦ (القديس غريغوريوس) العجائبي (+ نحو ٢٧٠) يستشهد بباروخ وطوبيا وابن سيراخ (مين ١٠ : ١١٧٥)

١٧ (رسالة المجمع الملتئم في انطاكية سنة ٢٧٢ ضد بولس الصيصاطي) يستشهد فيها الآباء بآيتين من سفر ابن سيراخ كما يستشهدون بغيرها من الاسفار

١٨ (ارخيلاوس) السوري (+ نحو ٢٨٠) في مجادلتهِ مع الهراطقة يستشهد بسفر الحكمة (مين ١٠ : ١٤٧٤) وهذه الشهادة ثمينة لدينا لقلَّة النصوص السريانية في جيلهِ وهي تثبت ان هذه الاسفار كانت معتبرة الهيَّةً في كنائس ما بين النهرين في القرن الثالث

١٩ (القديس مثوديوس) الصوري (+ نحو ٣١١) فهذا قد ناصب اوريجانوس في بعض ارائهِ ولكنهُ اتفق معهُ تمام الاتفاق في الاستشهاد بابن سيراخ والحكمة ويهوديت الخ (مين ١٨ : ٣٧ و٤١ و٤٧ و٢١٢ الخ)

(الخلاصة) ليس برهان اثبت من هذا البرهان الذي فيهِ بيَّنَّا لا رأي شاهد واحد لكن معتقد الكنيسة المسيحيَّة في الشرق والغرب معًا بفم آبائها الاجلاء التناسلين الى عهد الرسل الاطهار

قال العلّامة البروتستنتي الشهير روس (Reuss) (في تاريخ القانون الكتابي

ص ٦٩) « ان اللاهوتيين في تلك الاجيال لا يعرفون العهد العتيق الّا حسب الترجمة المسمّاة السبعينيّة ولذا لا يجعلون فرقاً بين ما نسمّيه اسفاراً قانونيّة اولى وثانية او ابوكريفا [على زعمه] فانهم يستشهدون بهذه الاخيرة بكل ثقة كما يستشهدون بالاولى مع نفس العنوان الاجلالي وينسبون اليها ذات السلطة التي ينسبونها لتلك وهذه السلطة مؤسسة على انها مثل الاولى موحاة من الله على حد سواء »

ولمّا كانت الكنيسة المسيحيّة معصومة عن الغلط في تعليمها اذا اتّفقت آراء معلّميها في امر تعليمي وجب ان نستخلص ان هذا التعليم في وحي الاسفار المسمّاة اسفاراً ثانية هو عقيدة من العقائد المقدّسة. نعم قد حدث في القرنين الرابع والخامس بعض الشك والجدال في هذه العقيدة لعدم وجود حُكم فيها صريح يحسم الجدال ولكن هذا الشك لم يتجاوز الافراد ولم يكن الّا شكّاً علميّاً لا شكّاً عمليّاً مستنداً الى التقليد الكنائسي كما سترى

ولعلّ معترضاً يعترض على هذه الآيات العديدة المأخوذة عن نيّف وعشرين كاتباً من اقدم كتبة النصرانيّة بشهادة واحدة نقلها اوسابيوس في القرن الرابع (مين ٢٠ : ٣٩٦) حيث روى رسالة لا تتجاوز العشرة الاسطر كتبها القديس مليتون في اواسط القرن الثاني لصديق يُدعى اونيسيموس يخبره فيها انّهُ زار الاماكن التي جرت فيها حوادث شعب الله (اي الاراضي المقدّسة) ونقل هناك جدول اسفار العهد العتيق فاقتصر على الاسفار الاولى دون الثانية

جوابنا على هذا الاعتراض : ١ً ان اوسابيوس ينبّه القارئ ان الكلام هنا عن جدول الاسفار المقبولة من الجميع بلا معارض. ونحن نقرّ ان الاسفار الثانية تعرّض لها اليهود الفلسطينيون في القرون الثلاثة الاولى ثم انهُ وقع في وحيها جدال بين بعض الآباء في القرنين الرابع والخامس. ٢ً ان مليتون ينقل القانون الذي توصّل الى معرفته في زيارته لفلسطين. وهذا تلميح صريح الى قانون اليهود في تلك الازمنة فلو اراد قانون الكنيسة جملةً لما احتاج الى السفر وهو المعاصر للقديس بوليكربوس تلميذ يوحنّا الرسول ولهُ في الكنائس الرسولية التي كان يقيم في ظهرانيها ما يطلعهُ على معتقد النصارى. ٣ً قد نسي مليتون في قانونه سهواً او عمداً سفر استير وهو من الاسفار الاولى التي لا جدال فيها. افيُقال لذلك ان مليتون ينكرهُ فكيف يزعم الزاعم انّهُ ينكر الاسفار الثانية

لانهُ سكت عنها. ٤ً لا نعرف لمليتون غير هذه الرسالة الوجيزة التي نقلها اوسابيوس بعد مائتَيْ سنة ونيِّف فلو كانت لنا مقالات وعظات لمليتون لاستطعنا معرفة رأيهِ الصريح. ٥ً واخيرًا هب ان مليتون يخالف رأي الآباء فاي حجّة علينا ونحن نستشهد بأقوال الآباء الكنسيين ونبحث عن اتفاقهم شرقًا وغربًا ؟ (البقية لعدد قادم)

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ر

✿ روحانا ✿ ليس روحانا اسمًا علمًا وانّما هو كاتب من السريانيَّة (ܪܘܚܢܐ) اي الروحاني والملاك لُقّبَ بهِ اللبنانيون قديمًا شريفًا يُدعى قرياقوس او كيرياكوس وابتنوا على اسمهِ اديرة وكنائس . كان مولدهُ في اوائل سنة ٤٤٩ للمسيح في مدينة كورنثوس وهو ابن اخي اسقفها بطرس احد المجاهدين عن الايمان في المجمع الخلقيدوني. فما كاد يبلغ سنَّ الرشاد حتى انكبَّ على اعمال الزهد والبرّ وفي تلك الاثناء سمع ما كان القديس افتيميوس يأتيهِ من مآثر اولياء الله فاتجر الى بلاد فلسطين ليتتلمذ لهُ فأرسلهُ القديس الى دير الانبا جراسيموس فبقي هناك تسع سنوات يرتاض في كل اعمال البرّ حتى عُرف بقداسة سيرتهِ وجرت على يدهِ المعجزات والكرامات العديدة. ثم عاد الى دير مار افتيميوس ودبَّر رهبانهُ احسن تدبير وكان قدوةً لجميع النسّاك وناصب المبتدعين الذين ظهروا في فلسطين. توفي قرياقوس بشيخوخة صالحة في سنة ٥٥٦ للمسيح وعمرهُ ١٠٧ سنوات. وكتب سيرتهُ باليونانيَّة احد كبار المؤرخين الموثوق بهم كيرلس البيساني وعيدهُ واقع في ٢٩ ايلول اطلب اعمال البولنديين وترجمتهُ في اليوم المذكور (Acta SS., Sept. VIII, 147-158) ومكتبة القديسين اليونانية (BHG. 65). وقد دُعي القديس روحانا في بعض الكلندارات المارونيَّة بالمرتّل ولا نعلم سبب تسميتهِ بذلك. وجاء في كلندار آخر طُبع في رومية سنة ١٧٥٢ بأوَّل النوبة في تاريخ ١٢ ك ١ ما حرفهُ «سبيريديون الاسقف وهو روحانا». ولم نجد في غير هذا الكتاب ان القديس سبيريديون وهو احد اساقفة قبرس في أيام قسطنطين

دُعي باسم روحانا. ولعلَّ صاحب الكلندار خُدع باسم سبيريديون المشتق من لفظة لاتينيَّة ويونانيَّة دخيلة معناها الروحاني

﴿ روكس ﴾ هذا القديس فرنسوي الاصل انتشرت عبادتهُ في قضاء لبنان على يد المرسلين الغربيين فشُيّدت على اسمهِ عدَّة كنائس. كان مولدهُ في منبليه (Montpellier) سنة ١٢٩٥ وفيها توفي سنة ١٣٢٧ وعمرهُ ٣٢ سنة. كان مولدهُ عجيباً استوهبهُ ابواهُ من السيّدة البتول بصلواتهما بعد عقم طويل ونشأ في حجرهما محمولًا بحسن طويّتهِ الى كل اعمال الصلاح. ولمَّا توفي والداهُ وهو في ريعان الشباب باع كل اموالهِ الوافرة وفرَّقها على البائسين ثم سمع بفشوّ الطاعون في مدن ايطالية فسار اليها واخذ يتجوَّل في انحائها يخدم المطعونين بغيرة لم تعرف الملل فشرَّفهُ الله بشفاء المصابين حتى كان يحسم الداء بدعائهِ حيثما يحلّ وبعد ان نجّى رومية من الوباء سافر الى پليزنسة ففعل فيها ما فعل في غيرها من المعجزات على انَّهُ أُصيب فيها بداء عُضال وبقي طريح الفراش مهملًا من الجميع فأبدى في اوجاعهِ صبرًا جميلًا. وقيَّض الله لهُ كلبًا كان يأتيهِ كل يوم برغيفٍ من الخبز. ثم شفاهُ الله والهمهُ ان يرجع الى اوطانهِ وكانت الحروب وقتئذٍ قائمةً فيها على ساق فحسبهُ البعض جاسوسًا متنكِّرًا فحملوهُ الى والي مدينة منبليه وهو عمّهُ فلم يعرفهُ وسكت القديس عن اصلهِ فأُلقي في سجن مظلم قضى فيهِ خمس سنوات في ممارسة اسمى الفضائل حتى دنت وفاتهُ فكرَّمهُ الله بعدَّة معجزات. ولمَّا مات عرفهُ اهل وطنهِ وأكرموهُ مذ ذاك الحين في كل انحاء اوربَّة وظهرت شفاعتهُ خصوصاً في أيام الطاعون. اطلب اعمال القديسين في ١٦ آب وفيهِ واقع عيدهُ (Acta SS., Aug. III, 380) ومكتبة القديسين اللاتينيَّة (BHL. 1055) اطلب ايضًا كلندار الكنيستين للاب نيلس (Nilles : *Kalend. utriusque Eccl.* I. 287)

﴿ رومانوس ﴾ ورد في السنكسارات المارونيَّة التي اطَّلعنا عليها ذكر قديسين بهذا الاسم ففي ٢٧ شباط ذكر رومانوس المدعو أبا الرهبان. وفي ١٨ تشرين الثاني رومانوس الشهيد ويذكرونهُ ايضًا في ١٥ آذار. واقدمهما هذا الشهيد الذي روى اوسابيوس قصَّتهُ في تاريخ شهداء فلسطين في الفصل الثاني. قُتل شهيدًا في انطاكية في عهد ديوقلطيانوس وغاليريوس. قيل انهُ كان من أسرة شريفة وترهَّب في الاقفار

المجاورة لبلدهِ فلمّا اشتدَّ الاضطهاد على النصارى عاد الى وطنهِ وجاهر بايمانهِ في السيّد المسيح فقُتل خنقًا بعد العذابات الشديدة نحو سنة ٣١٠ وقُتل معهُ ولد صغير يُدعى بارولا كان شهد بصحّة ايمان النصارى. وقد اثنى على الشهيدين القديس يوحنا فم الذهب في خطبة تجدها في جملة اعماله. اطلب مكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL,1059) واليونانية (BHG, 225) والشرقية (BHO, 225)

ولعلَّ اللبنانيين يكرمون رومانوس الآخر اي ابا الرهبان المدعوّ بالعجائبي وذكرهُ واقع في الكتبة اللاتينيّة في ٩ شباط (Acta SS., Febr. II, 295-296) وقد ذكرهُ تاودوريطس في جملة السيّاح الذين اشتهروا في ايام تاودوسيوس الصغير اي في القرن الخامس وذكر اعمالهُ وعجائبهُ في تاريخهِ الرهباني في الفصل ١١ اطلب مجموعة الآباء اليونان لمين (Migne, PP. GG., LXXXII, 1393) ومكتبة القديسين اليونانيّة (BHG, 225) وكان اصل هذا القديس من قيليقية فتتلمذ للقديس زوزيموس الناسك في جبال انطاكية وعاش عيشة الملائكة فعظّم الله اسمهُ في موطنهِ

وفي ميناون الروم في ١ تشرين الاول ذكر رومانوس المرنّم الذي حقّهُ ان يُكرم في نواحي الشام. واصل هذا القديس من حمص ثم تخرَّج في الآداب في بيروت ورقي فيها الى درجة الشمّاس ثم رحل الى القسطنطينيّة وخدم في كنيستها. واذ كان يومًا نائمًا ظهرت لهُ البتول وقدّمت لهُ كتابًا وامرتهُ ان يبتلعهُ ففعل وانتبه من نومه واذا لسانهُ يلهج بمدائح العذراء الطاهرة فأخذ يصنف الاناشيد اليونانيّة في ذكرها فكتب نحو الألف أنشودة وقد ادخلت الكنيسة اليونانيّة كثيرًا منها في تسابيحها وصلواتها. ازهر هذا القديس في ايّام الملك انستاس في اواخر القرن الخامس واوائل السادس. اطلب اعمال القديسين للبولنديين (Acta SS. Oct. I, p 53-56) وكلندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي (Nilles : *Kalend.*, I, 293)

﴿ ربشا ﴾ هذا ايضًا لقبٌ سرياني (ܪܫܐ) معناهُ الرئيس او الامير لقديس ذكرهُ شاع في اطراف لبنان. واسمهُ الصحيح الكسيوس كان ابن احد امراء رومية المدعو اوفيميانوس واشتهر في اواسط القرن الخامس. قيل انهُ في ليلة عرسهِ توارى من بيت ابيهِ وركب البحر وجاء متنكرًا الى بلاد الشام وزار مدينة الرها ثم رجع الى بيت والدهِ وعاش هناك مجهولًا في كوخ ذليل ومات فيه فاعلن الله قداستهُ لاهلهِ وتكلّ

سكّان رومية وعُرف برجل الله وقد روينا في المشرق (٨: ٦٥٠—٦٥٨) مختصر قصّته مع المديحة التي ينشدها السريون لذكره. وعيده في جميع الكنائس الشرقيّة واقع في ١٧ آذار اماً الكنيسة اللاتينيّة فتذكره في ١٧ تموز وكذلك في سنكسار ماروني حديث وقع في يدنا. وفي الكلندار القديم للكنيسة المارونيّة الذي نشرناه في المشرق (٨: ٨٦٦—٨٧٤) ورد ذكره مع القديس جرجس في تاريخ ٣ تشرين ١. اطلب اعمال القديسين في المجلّد الرابع من تموز (Acta SS., Jul. IV, 251-253) ومكاتب القديسين اللاتينيّة (BHL, 48) واليونانية (BHG, 8) والشرقية (BHO, 10) وكلندار الكنيستين (Nilles, *Kalend.*, I, 123) ومن العجب انّ صليبا الكاتب اليعقوبي ذكر الكسيوس كشهيد (Peeters : *Le Martyrologe de R. Sliba*, 149 et 178)

ز

٥٠ زخيا ﷺ يكرّم في اماكن متعددة من لبنان وخصوصاً في عجلتون (كسروان) وفي الصالحيّة (القتوح). وقد بقينا مرتابين في اسمه واخباره لانّ اسم زخيا كالاسماء السابقة لقبٌ معناه البار (ܙܟܝܐ) وهو اسمٌ يشمل كل اصفياء الله بلا ميزة. وكنّا نسمع البعض يقولون انهُ تعريب إينوقت (Innocent) وقد اشتهر كثيرون من القديسين بهذا الاسم. وكان يؤيد هذا الزعم انّهم يعرّبون اسماء الاحبار الرومانيين المدعوين اينوقنت باسم البابا زخيا. ثم خطر على بالنا انّ زخيا هو كزكّي في السريانيّة (ܙܟܝ) فيكون القديس زخيا هو القديس زكّى المذكور في انجيل لوقا. ولم يزل الريب يخالجنا حتى وقفنا على كلندار الموارنة في كتاب القدّاس والرسائل. وهناك يُذكر القديس زخيا في ٣١ آب حيث يقال «امّا كنائس مار زخيا فليراجع ٦ كانون الاول» فبهذه المراجعة افادنا انّ القديس زخيا هو القديس نيقولا لوقوع عيده في ذلك اليوم وانّ اسم زخيا بالسريانيّة ترجمة نيقولا باليونانية ومعنى كليهما الظافر. امّا ترجمة القديس نيقولا فمعروفة تجدها مطوّلةً في تاريخ ٦ كانون الاوّل من مروج الاخيار (ص ٧٥٧) خلاصتها انهُ وُلد في بتارة من اعمال ليقية ورُقي بالهام من الله الى درجة الاسقفيّة على مدينة ميرا وكانت حياتهُ سلسلةً متواصلة من كل اعمال الخير. وقد جاهد في سبيل الايمان على عهد ليقينيوس وحضر المجمع النيقاوي فرذل شيعة الاريوسيين. وتوفي في اواسط القرن

الرابع. وذخائره تكرم اليوم في مدينة باري من اعمال ايطاليا على شاطئ بحر الادرياتيك. اطلب ترجمته في اعمال الآباء اليونانيين (PP. GG. T, 116, p. 317-356) ثم في مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 890) واليونانية (BHG, 178) والشرقية (BHO, 177) وفي كلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 347) . والقديس نيقولا يُكرم في جميع الكنائس في ٦ كانون الاول ولا نعلم سبب نقل عيده عند الموارنة الى ٣١ آب

س

﴿ سابا ﴾ احد مشاهير القديسين المكرّمين في كل طوائف الشرق وعلى الاخص عند الروم الملكيين وفي جميع اديرة الرهبان وللموارنة كنيسة في اده على اسمه. وعيده واقع في جميع الكنائس الشرقية والغربية في ٥ ك ١ وقد ذكره صاحب الكلندار الماروني الذي نشرناه في المشرق (٨: ٢٢٨) في تاريخ ٢٦ تشرين الاول. كان مولده في بلاد قبادوقية سنة ٤٤٠ وتوفي سنة ٥٣٢ بعد ان قضى في مناسك فلسطين واديرتها ٧٦ سنة صرفها بممارسة الفضائل كلها وعاش عيشة اشبه بعيشة الارواح الطوباوية ودبّر عدداً لا يُحصى من الرهبان وشيّد الدير المعروف باسمه قريباً من اورشليم حتى ذاع صيته في كل المعمور وكاتبه ملوك الروم ليتبرّكوا بدعائه. والقديس سابا دافع عن الايمان بكل نشاط ضد البدعة الاوطاخية واثباتاً للمجمع الخلقيدوني. كتب سيرته احد معاصريه كيرلس البيساني (PP. GG., T, 104, p. 594) اطلب مكتبتي القديسين اللاتينية (BHL, 1074) واليونانية (BHG, 226) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 344)

﴿ سلسين ﴾ هو احد القديسين الذين انتشر ذكرهم في لبنان له في بعض جهاته مزارات يزورونها يوم عيده الواقع في ١٥ ايلول كما جاء في كتاب قداس الموارنة. واسمه الصحيح سيسين وفي اللاتينية (Sisinnius) وقد عُرف بهذا الاسم كثيرون في بلاد المغرب ومصر وما بين النهرين (اطلب المشرق ٥: ٧ وفيه ذكر سيسين الجاثليق الخراساني). اما القديس المكرّم في لبنان فقد اثبت السنكسار الماروني حياته في ٢٣ تشرين الثاني فقال انّ سيسين عاش في ايام الملك ديوقلطيانوس وكان في مدينة كوزيكس (Cyzique) فامسكه واليها وعرض عليه عبادة الاصنام فأبى وبعد

العذابات الشديدة أُلقي في السجن فبقي مكبَّلًا بالحديد الى عهد قسطنطين الملك فنال الحريَّة ودافع عن الايمان ضدّ اريوس في مجمع نيقية ثم رقد بالرب. اطلب مكتبة القديسين الشرقية (BHO, 237) حيث يُشار الى ترجمة القديس التي وجدت بالحبشية فنُشرت في مجموعة كتبة النصارى الشرقيين للخوري شابو وجاء ذكر هـذا القديس ايضاً في كلندار صليبا في تاريخ ٢ آذار (Peeters : *Martyrol. de R. Sliba*, 177)

﴿ سركيس وباخوس ﴾ هما الشهيدان الجليلان اللذان سبق الشرق (٥ : ١٤٥–١٥١) ولخّص ذكر جهادهما واستشهادهما في برباليسّة (وهي بالس) والرصافة (سرجيوبوليس) في نواحي الفرات فاتا في سبيل الايمان المسيحي على عهد مكسيميان غاليريوس بأمر الوالي انطيوخوس نحو سنة ٣٠٧ للمسيح فنالا بعد موتهما من الاكرام في انحاء الشرق ما لم ينلهُ الّا القليلون من الشهداء. وفي لبنان عدّة كنائس واديرة على اسمها. وعيدهمـا واقع في ٧ تشرين الاوّل في كنائس الشرق والغرب معاً. الّا انّ ربّان صليبا في كلنداره ذكرهما في ٦ ايار (Peeters, l. c., 153 et 185) اطلب ترجمتها في البولنديين (Act. SS., Oct. III, 871-882) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 1102) واليونانية (BHG, 229) والشرقية (BHO, 231) وكلندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 298)

﴿ سمعان العمودي ﴾ ليس بين سيّاح سوريا قديس احرز لهُ سمعةً في العالم بعجيب سيرتهِ ومعجزاتهِ كالقديس سمعان العمودي. ولهُ فضل على لبنان ايضاً كما روى حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصـار (١ : ١١٢ والمشرق ٩ : ٣٠٤). اما اعمال القديس والآثار الباقية من مقامهِ في قلعة سمعان فقد ذكر ذلك الاب بولس جوون (في المشرق ٢ : ٣٦٦–٤٠٨). كان مولدهُ في سيسان سنة ٣٩٢ وزهد في العالم وعمرهُ ١٣ سنة فقط وانقطع الى اعمال النسّاك بنشاط عظيم في البراري والاقفار حتى تقاطرت اليهِ الزوّار فصعد فرارًا من لجاجهم على عمودٍ مرتفع فعاش بين السماء والارض نحو اربعين سنة جعل في مدتها عمودهُ كمنبرٍ خطب فيهِ الى العالم كلّهِ بقداسة حياتهِ اكثر منهُ بكلامهِ. وكانت الشعوب القاصية تفدهـا تتزاحم حول عمودهِ لتنال بركتهُ وتسمع ارشاداتهِ وكان لقبائل العرب من اصحاب الوبر والمدر حظٌ كبير من تعاليمهِ وقد هدى منهم الوفاً مؤلفة الى النصرانيّة. كانت وفاة القديس في سنة ٤٥٩ مسيحية. وقد كتب

حياتهُ شاهد عياني ثقة تاودوريطس المؤرخ في كتابهِ التاريخ الرهباني في الفصل ٢٦. وعيد هذا القديس واقع في كنائس الشرق في ١ ايلول اما الغربيون فيذكرونهُ في ٥ ك٢. اطلب ترجمتهُ في مروج الاخيار ص ٢٨ وفي اعمال البولنديين (Act. SS. Jan. I, 269-274) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL., 1151) واليونانية (BHG, 237) والشرقية (BHO, 245) وفي كاندار الكنيستين (Nilles, l. c., I, 267). اما رهبان صليبا فقد جعل ذكرهُ في ٢ ايلول (Peeters, l. c., 159 et 193). وفي كاندار الكنيسة الانطاكية للبيروني (المشرق ٥:٦٧) ورد ذكر «شمعون صاحب العمود» في ٢٧ تموز

ش

﴿ شربل ﴾ هو الاسقف الرهاوي الشهيد الذي شيِّدت بعض الكنائس على اسمهِ في لبنان كمعاد وغيرها كان اوَّلًا كاهنًا للاوثان ثم رأى عجائب القديس برسيا اسقف الرها فأمن واعتقد وخلفهُ على كرسيهِ ولمَّا ثار الاضطهاد على النصارى في عهد طرايانوس قيصر اوقعهُ حاكم البلد ليزياس مع اختهِ بابايي وامتحنهما بالعذابات مدَّة الى ان قضيا استشهادهما في سنة ١٢١ للمسيح. وعيدهما في الكنائس السريانية في ١٤ تشرين الاوَّل. ويذكرهما الموارنة في ٢٦ كانون الثاني. وفي الكلندار الماروني الذي نشرناهُ (في المشرق ٨:٨٧٢) ذكر مار شربل في ٦ ت ١. وكذلك يكرَّر ذكر شربل واختهِ عند السريان في ٥ ايلول. اطلب ترجمة القديسَين في اعمال البولنديين في المجلَّد الرابع من كانون الثاني (ص ٥٣٨) ونشر سيرتهما مطوَّلة الاب بيجان اللعازري في اعمال الشهداء السريانية (ج ١ ص ٩٥-١١٦). وكذلك راجع مكتبة القديسين الشرقية (BHO, 230) وكاندار الكنيستين (Nilles, l. c., I. 416)

﴿ شليطا ﴾ هذا ايضًا لقب سرياني (ܫܠܝܛܐ) اي السلّط والحاكم. قال في السنكسار الماروني في ٢٠ تشرين الاوَّل ان اسمهُ ارتيميوس (Artème) وانهُ كان من اقارب قسطنطين الكبير فوُلّي على مصر ولذلك عُرف باسم شليطا. ولما تملَّك يليان الجاحد امر بعذابهِ لثباتهِ في الدين النصراني فمات شهيدًا سنة ٣٦٣. والبعض يجعلون استشهادهُ في انطاكية. والاصح انهُ قُتل في الاسكندرية. وقد ارتأى العلَّامة پول ألار (P. Allard) في كتابهِ عن جوليان الجاحد ان ارتيميوس لم يمت شهيدًا بل

قُتل في ثورةٍ لاحتكاره القمح. وقد سعى غيره ان يثبتوا وجود رجلين باسم ارتيميوس وحتى الآن لا يزال الامر مشبوهاً. وعيد هذا القديس في اغلب الكنائس واقع في ٢٠ تشرين الاول. والارمن يكرمونهُ في ١٩ منهُ والقبط في ١٥ منهُ . وصاحب الكلندار الماروني الذي نشرناهُ (في المشرق ٨: ٨٧٢) ذكرهُ في ١٨ تشرين ١. اطلب البولنديين (Act. SS. Oct., VIII, 856-884) ومكتبة القديسين اليونانية (BHG,26) وكلندار الكنيستين للاب نيلس (Nilles, l. c., I, 304). واللبنانيون يبالغون في اكرام القديس شليطا تجد له في الجبل عدة اديرة وكنائس ويستشفعون به لحيواناتهم

ثم ان السريان يذكرون قديساً آخر باسم القديس شليطا اشتهر في القرن الرابع وكان ناسكاً اصلهُ من مصر فجاء مع القديس اوجين وتنسَّك في جهات ما بين النهرين وبلاد فارس وردَّ كثيرين الى الايمان بعجائبهِ فاقام الموتى وابطل الطاعون. والسريان يلتجئون اليهِ في الامراض الوبائية. كانت وفاتهُ في نواحي انطاكية وعيدهُ واقع في ١٩ ايلول. وقد ذكرهُ ربان صليبا في ١٥ تشرين الثاني (Peeters, l. c., 142 et 167) اطلب ايضاً مكتبة القديسين الشرقية (BHO,225) واعمال الشهداء بالسريانية للاب بيجان (ج ١ ص ٤٢٤—٤٦٥) ولعلَّ اللبنانيين يزجون بين الشهيد والناسك

﴿ شينا ﴾ يُكرَم مار شينا في كنيفان وفي محلات أُخرى ومعنى اسمهِ في السريانية (ܫܝܢܐ) السلام والسعد وهو لقب قديس يُدعى ابراميوس. جاء في الكلندار الماروني في تاريخ ١٥ ايلول البار ابراميوس الملقَّب شينا من بلد انطاكية كان رئيساً على اللصوص واراد ان ينهب ديراً للراهبات متزيياً بزي الرهبان مع اصحابهِ ودخل الدير لينهبهُ فاستقبلتهُ الراهبات وغسلت اقدامهُ ورجليهِ اتضاعاً ثم اعطت الغسالة راهبةً مريضةً مقعدةً فادهنت هذه بالماء ولاجل ايمانها شفيت. فلما رأى ابراميوس الامر تحيَّر وتخشَّع قلبهُ وتاب ثم ترهَّب وتلقَّب باسم شينا لانهُ رمى بسيفهِ واعطى الراهبات الامان ونعمةً رقتهُ فعاشوا عيشةً صالحة معهُ وردَّ عدداً وافراً من الوثنيين بارشاداتهِ ورقد بالسلام. وفي كتاب القداس الماروني وارد ذكر القديس شينا في ٣١ آب مع القديس زخيا. وقد ذكرهُ ربان صليبا في كلنداره في تاريخ ١٦ ايلول راجع طبعة الاب بيترس (Peeters, l. c., 160) مع الحاشية التي علَّقها حضرتهُ على ذكر هذا القديس (ص ١٩٥) وعلى ظنهِ ان شينا تصحيف شيلا او سيلا احد منشئي الاديرة في حرَّان والله اعلم (له بقية)

السرّ المَصون في شيعة الفَرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الرابع

الأسراب الماسونيّة

رأينا في الابواب السابقة مظاهر الشيعة الماسونيّة ونظامها الداخلي القريب الذي يتركّب من الثلاث الدرجات الاصوليّة اي الطالب والرفيق والاستاذ ومن اجتماع هؤلاء تتألف المحافل . ولكن يا ترى اهذه هي كل الماسونيّة والى هذه تنتهي الاسرار الموعود بها المتسمون الى فئتهم ? فاين ذلك النور والعلم والتمدّن الذي لم يزل رؤساء الشيعة يلوّحون به امام تبعتهم في محافلهم ألعلّهم اذا عرفوا اسم «جاكين وبوز» وتعلّموا المشية الماسونيّة والاشارات الخفيّة وادركوا سرّ قصّة حيرام وقتله على يد الرفقة الظالمين بلغوا قصوى السعادة ونالوا هناء العيش ? فيجيبنا على ذلك بعض الماسون انّ الماسونيّة لا تتجاوز هذه الاسرار وان عليها مدار الماسونيّة كلها . وان راجعت الكتب الماسونيّة التي نُشرت في العربيّة بهمّة الاخوة الكرّمين . جرجي زيدان وشاهين مكاريوس والياس الحاج وانيس الخوري تجدها كأنها مقتصرة على بعض ما نشرنا لا تكاد تبوح بها الّا بالتحفظ الكلي وبعد أن نظّف اولئك الكتبة شيعتهم غاية جهدهم لتظهر في اعين القرّاء كالعروس المجلوّة المزيّنة التي يأخذ منظرها بالقلوب . فيا ترى أهؤلاء الكتبة مخدوعون بجهّال لا يدرون حقيقة الماسونيّة وما في زواياها من الخبايا فذلك من المحتمل لأنّنا نعلم حق العلم انّ كثيرين من الداخلين في الماسونيّة يقضون حياتهم وهم لا يرون فيها بأساً ولعلّهم يحسبونها جمعيّة خيريّة لمساعدة البائسين . على أنّنا اذا قضينا بذلك على بعضهم لاسيا في هذه البلاد التي لم تظهر الماسونيّة بعد بصورتها الحقيقيّة لا يمكننا ان نطلق هذا الحكم على الجميع . فانّ قسماً من الماسون وهم الرؤساء والقادة عارفون بلا شك انّ وراء الدرجات الثلاث درجاتٍ أُخرى سريّة لا يعلم بها الجميع . أفلا ترى مثلًا انّ شاهين بك مكاريوس يعن القابه التي يفتخر بها في صدر كتابه عن الدرجة الماسونيّة الاولى يدوّن كونه « حائز للدرجة ٣٣ » فكفى بذلك دليلًا الى انّ في الماسونيّة درجات عليا تبلغ ٣٣ درجة . فما هي رعاك الله هذه الدرجات . وما لشاهين بك لم يفدنا بها

علماً . افترى انّ الماسون يرقون الى هذا السلّم العالي ذي الثلاث والثلاثين درجة لمجرّد تفريج البال والتفرّغ لرصد الكواكب (على البَقّ) او ليس الاحرى ان يقال انّ تلك الدرجات بناء لاحق بذلك الاساس المثلّث الذي وصفناه ولا ترضى الشيعة ان يبقى كل اولادها « في سنّ السبع سنوات » وهي سنّ الاساتذة كما مرّ بك بل تربّي بعضاً منهم اقوى بنيةً واصلح لغاياتها فتستقيم روح الماسونيّة القحّ

وان سألتنا انعرف شيئاً صحيحاً عن تلك الدرجات السريّة أجبنا أننا نعرفها كلّها ولدينا من تآليف الماسون الخفية ما يملأ عدّة اعداد من المشرق الّا انّ وصفها بالتفصيل لا يفيد القرّاء شيئاً جديداً فنكتفي بنظر عمومي عنها فنقول :

رأى ائمّة الماسونية انّ في كثرة الداخلين في عدادهم خطراً على جمعيّتهم فاتّفقوا على ان يُبقوا درجاتها الثلاث للعموم (للعميان) ويُنشئوا للخاصّة (للمفتّحين) درجات أخرى لا يبلّغونهم ذروتها الّا بعد الامتحانات المتوالية فيشربونهم سم الماسونية نقطة نقطةً حتى يعتاده مزاجهم ولا يأنفوا من نتانته . امّا عدد هذه الدرجات فيختلف على حسب الطرائق الماسونية فالطريقة الفرنسويّة تناهز درجاتها العشرين وربّما اختصرتها باربع او خمس درجات لانّ الفرنسويين طبعاً لا يحبّون الطول ويقفزون كالغزلان بينما يدب غيرهم كالسلاحف . اما الطريقة المعروفة بمصرائيم فتتجاوز درجاتها العشرين . واكثرها عدداً الطريقة الاسكوتلنديّة التي تبلغ ٣٣ درجة . وعليه يكون وطنيّنا شاهين بك مكاريوس بلغ السماء الثالثة كالرسول المصطفى (٢ كور ١٢ : ٢–٤) وسمع مثله « كلمات سريّة لا يحلّ لانسان ان ينطق بها » . وهذه الدرجات على اختلاف الطرائق تتّفق في اشياء كثيرة فنذكر هنا نتفاً من بعضها تزيد قرّاءنا معرفة بخبث هذه الشيعة .

فمنها درجة « المختار » (Élu) « والمختار العظيم » (Grand-Élu) و « الكاهن الماسوني » (Prêtre Maçon) « وفارس الشمس » (Chevalier du Soleil) « وفارس السيف » (Chevalier de l'épée) و « فارس الشرق والغرب » (Chevalier d'Orient et d'Occident) و « الصليب الوردي » (Rose-Croix) و « الحبر العظيم » (Grand pontife) و « أمير لبنان » (Prince du Liban) و « استاذ اعظم لهيكل اورشليم » (Grand Commandeur du Temple de Jérusalem) و « الفارس القدّوش » (وان شئت قل « الفارس الكديش »)

(Chevalier Kadosch) ولكل هذه الدرجات طقوس ماسونيّة خاصة وامتحانات (تلقينيّة) وملابس شرفيّة وشارات سرّيّة ومشية رمزيّة وطرقات اصطلاحيّة

ففي درجة المختار يظهر الاخوة لابسين الحداد وعلى جانبهم اليسار وشاح نقشوا عليه جمجمة وعظم ميتٍ مع سيفٍ مجرّد وحول النعش قد كتبوا « الظفَر او الموت ». وكذلك يُعدّون مغارة مظلمة يدخل فيها المرشّح لهذه الدرجة بسراج ضعيف فيجد معلّقاً شبه رجل يزعمون انهُ قاتل حيرام فيأمرونهُ ان يأخذ بثار القتيل فيقطع رأسهُ ويأتي بهِ الى المحفل ظافراً. فيردّد الاخوة كلمة « نقام » اي تمّ الانتقام

وفي درجات « المختار المعظم » و« الكاهن الماسوني » و « فارس الشمس » و « فارس السيف » يفيدون المرقّى اليها انَّ ذاك الذي يجب الانتصار لهُ ليس هو حيرام وما حيرام الَّا رمز الحرّيّة وقاتلهُ السلطة الدينية اي النصرانية التي يُقتضى عليهِ ان يناجزها القتال حتى يظفر بها ويُفني « تلك الخرافات الدينيّة » التي تمنع الانسان من بناء الهيكل الماسوني اي هيكل الحرّيّة والمساواة والاخاء. وللتشنيع على الدين تجدهم تارةً يمثّلون في المحافل حرّية الانسان على شبه أسيرٍ مكبّل بالقيود التي قيّدهُ بها ارباب الدين فيؤمر المرشّح للماسونيّة ان يفكّ تلك الاغلال وتارة ينصبون ثلاث جماجم يجعلون على الواحدة منها تاجاً كتاج الحبر الاعظم ويتقدّمون الى المرشّح ان يضربهُ بخنجر. وفي رتبة « الكاهن الماسوني » يتقلّدون الكهنوت الموسوي والكهنوت النصراني نفاقاً فيقدّمون شبه الذبائح والتقادم كالخبز والخمر والزيت والحليب ويصرّحون بان الكهنوت ليس هو وضعاً الهيًا وانَّ الكهنوت الصحيح هو الكهنوت الطبيعي الخالي من كل وحي المبني على القوى الطبيعيّة والعقل البشري ويسلّمون الاخ ... كتاب السّنن الطبيعيّة الذي يقوم مقام الانجيل. ومجمل القول انَّ هذه الدرجة تقليد سخري لاسرار الكنيسة. وتأتي من بعدهِ الدرجات الاخرى كفارس الشمس وفارس السيف ليمكّنوا في قلبهِ البغض للدين القويم ويجعلوا الماسوني جنديًّا شاكي السلاح مستعدًّا في كل اين وآن ان يجرّد سيفهُ على ارباب الدين ويسعر لمناهضتهم حربًا عوانًا لا تضع أوزارها طول الحياة

وفي درجتي الفارس القدوش والصليب الوردي وهما اعلى الدرجات الماسونية تتّضح الاسرار وتنكشف الخبايا ففي درجة القدوش يعلم المترشّح حقيقةً انَّ المدوَّين الكبيرين في العالم الواقفين في طريق الماسونية والمانعين لها من الفوز انَّما هما السلطة

البابويّة والسلطة الملكيّة يضيفون اليها السلطة العسكريّة فتلك على زعمهم الحيَّة المثلثة الرؤوس التي ينصبون في هياكلهم تمثالها فيجعلون على الرأس الأوَّل تاجاً حبريًّا وعلى الثاني تاجاً ملكيًّا وعلى الثالث سيفاً مجرَّداً. وذلك هو التنّين الذي ينبغي للماسوني قطع رؤوسه الثلاثة — ولمّا كان السيّد المسيح لذكوِ المجد هو النصير الكبير للسلطة بقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فانَّ الماسون يناشبون الحرب المسيحَ نفسهُ وذلك خصوصاً في درجة «الصليب الورديّ» حيث يسخرون بابن الله وبمشاهدِ السرّي وبصليبهِ وموتهِ ويزعمون انَّ الحروف الاربعة التي نصبها بيلاطوس فوق صليبهِ «INRI» اي يسوع الناصري ملك اليهود لها معنيان الأوَّل انَّ اليهود قتلوا المسيح لآثامهِ والثاني انَّ «الطبيعة كلّها تطهر بالنار» (igne natura renovatur integra) فتقوم النار الماسونية بدلًا من نار الروح القدس الحالّة على التلاميذ فتجعلهم نفساً وجسماً في قبضة اِلهِ اللهيب وشيخ النار ولا احد يجهل من هو. ويتمّ شعار الماسونية في مجلاهِ الاخير وهو «لا إله ولا سيّد» فالانسان هو هو «الإله المستقلّ بنفسهِ» يفتكر ما يشاء ويقول ما يشاء ويفعل ما يشاء. ليس لاحد حقّ بان يطالبهُ على ما ينويهِ او يقولهُ او يأتي بفعلهِ ولو ارتكب اعظم المنكرات. فهذه خلاصة الدرجات الماسونية تجدها في كتبهم السرّيّة (١ موضحةً دون خجل ولا حياء. فيجدّفون علانيةً على كل الاسرار المقدَّسة ويهزأون بكل التعاليم الدينية ويصرّحون بعبادة الطبيعة حتى في ارجاسها التي تندى لذكرها خجلًا وجوه كلّ من لم تمتل في نفسهِ شواعر الحياء. امّا تلك الاسرار المزعومة كالالفاظ السرّيّة والخزعبلات الصبيانيّة التي يعظّمونها في اعين تبعتهم ويحلّفونهم بان لا يبوحوا بها الى احد تحت طائلة اشدّ العذابات فكلّ ذلك من التمويهات التي يتّخذونها كتهاويل باطلة ليصرفوا بها نظر الداخلين في الماسونية ويشغلوا فكرهم عن اسرارها الصحيحة التي هي كما قلنا نزع الشعائر الدينيّة من قلب الانسان وتمثيل النصرانية خصوصاً كالعدوّ العظيم لكل تقدُّم ولكلّ رقيّ ٠

١) اطلب خصوصاً الكتب الآتية: Manuel pratique du franc-maçon—Recueil précieux de la Maçonnerie Adonhiramite — Clavel: *Hist. pittor. de la Maçonnerie* — Teissier: *Manuel général de la Maçonnerie* — Deschamps: *Les Sociétés secrètes et la Société.*

الباب الخامس

مجلس الشورى في الماسونية

الدرجات العليا التي اشرنا اليها في الباب السابق هي درجات شرفيّة ليس لاصحابها حظّ في رئاسة الماسونية العامّة وانّما يحقّ للمنصّبين فيها ان يُختاروا لرئاسة المحافل كالاساتذة وان يحضروا المحافل التي تختصّ بدرجتهم او الدرجات التي دونها. امّا القضاء والتنفيذ والحكم على عموم الماسون فليس لهم منهُ شيء. فذلك كلهُ في ايدي اصحاب الثلاث الدرجات المروفة بالرئيسة فهي وحدها الضابطة للحكم فللدرجة ٣١ القضاء وللدرجة ٣٢ تنفيذ ما قُضي بهِ وللدرجة ٣٣ الحكم والتدبير. ولا يدخل هذه الدرجات الّا من وُجد في الدرجات السابقة اهلًا بذلك المقام فأثبت اهليّتهُ بصفات خاصّة وسجايا فريدة (بالمعنى الماسوني) فيختارون الواحد بين الالف ويخوّلونهُ الرتبة كمألوف عادتهم بعد الامتحانات والطقوس المضحكة والاقسام المحرّجة على حفظ السرّ وعلى الامانة في خدمة الماسونيّة وتعزيز مبادئها. ولاصحاب هذه الدرجات الثلاث اجتماعات سريّة يبحثون فيها عن احوال الماسونيّة ويتّفقون على ما يريدون تبليغهُ الى ذوي الدرجات السفلى بحيث يجب على هؤلاء الطاعة والخضوع دون ان يعلموا من اي مقام تصدر تلك الاوامر. بل لا يعرف البتّة اصحاب الدرجات العليا شيئًا ممّا يحدث في الدرجات التي فوق درجتهم. امّا ذوو الدرجات السامية فيمكنهم دائمًا أن يدخلوا في محافل الذين هم اوطأ منهم درجةً. فترى انّ في الماسونية تلك الطاعة العمياء حقيقةً التي ربّما نسبوها الى اليسوعيين فانّ طاعة «الجزويت» مقيّدة اذا اطاعوا لرؤسائهم لا يطيعونهم الّا لوجه الله بصفة كونهم نوّاب الله وذلك فقط في كل امر صالح موافق لوصايا الله وتعاليم البيعة المقدّسة بخلاف الطاعة الماسونيّة التي يجري عليها افرادهم دون ان يعلموا مَن يأمر وما سببُ امرهِ وهل امرهُ مطابق للآداب او لا فيندفعون الى تتميم الاوامر كالبهيمة التي يسوقها السائق بالعصا والمنخس

وبهذه الوسائط الشائنة اضحت الماسونيّة وثيقة العرى متّسعة النظام وهي في تأليفها وتدبيرها قد تقلّدت الكنيسة الكاثوليكيّة لبلوغ غاياتها كما تشبّهت بها في امور اخرى سبقت الاشارة اليها فكأنّها حكمت انّها لا تستطيع محاربة الدين بافضل من

سلاحه . لكنّها تخالف الكنيسة في امرين الاوّل في مقصودها الذي ترمي اليه وهو نقض الدين والسلطة الشرعيّة . والثاني في الوسائط المتريّة والخفيّة التي تتّخذها . فبينما ترى في الكنيسة الطاعة المقدّسة للسلطة الروحيّة من الشعب للكهنة ومن الكهنة للاساقفة ورؤساء الاساقفة والبطاركة ومن هؤلاء للرأس المنظور الذي اقامهُ السيّد المسيح كنائب لهُ على الارض وكل ذلك بتمام المعرفة وعلى حسب القوانين التي لا يجهلها احد من المسيحيين ترى الماسون يقيّدون بنفوسهم لطاعة عمياء لرؤساء يجهلونهم وفي امور لا يجوز لهم البحث عن سببها وقانونيّتها وغايتها

ولا تظنّنّ انّ الماسون الذين في الدرجات السفلى وحدهم مكبّلون بهذه القيود يرسفون باغلالهم مرغومين بل ينال الضغط حتى ذوي الدرجات العليا الذين يزعمون انّهم رؤساء في الشيعة لانّ زعماء الماسونيّة انفسهم يجهلون بعضهم وربّما اتتهم الاوامر من حيث لا ينتظرونها وباسماء رجال قد تنكّروا وغيّروا اسماءهم الحقيقيّة وتلقّبوا بألقاب مستعارة لا يعرفها الّا افراد قليلون ممّن يتّخذونهم كأوساط بينهم وبين بقيّة الماسون. واذا أبى هؤلاء الطاعة عدّوهم كالخائنين وجرت في حقّهم أحكام لا مناص لهم منها دون أن يستطيعوا المدافعة عن نفوسهم من تبعتها بحيث يجوز القول مع أحد الكتبة الذين ارتدّوا بعد زمان عن الماسونيّة : « لعمري ما من عبد مظلوم تضبط عليهِ الحرّية كما تضبط الماسونيّة حرّية تباعها اجمعين من اكبرهم منصباً الى ادناهم رتبةً » وايّد ذلك بخبر رواهُ احد كبار المؤرخين كرتينو جولي في كتابهِ عن البابويّة والثورة حيث ذكر انّ احد زعماء الماسونية الحقيقيين الملقّب باسم « نوبيوس » سُقي سمّاً لأنّهُ فقد بعض رسالات ماسونيّة سرّيّة وقعت في ايدي عمّال الحبر الاعظم غريغوريوس السادس عشر فسمّهُ شيوخ الماسونيّة لئلّا يُقبض عليهِ ويضطرّ الى افشاء اسرار الجمعيّة . ولمّا اراد يوسف مزّيني (J. Mazzini) سنة ١٨٣٦ وهو شاب داخل في الماسونيّة منذ سنين قليلة ان يقف على الزعماء الحقيقيين الذين تأتيه من لديهم الاوامر لسرّوا اليهِ ان يكفّ عن التفتيش لأنّ الخنجر مسنون مهيأ لعقابهِ

وعاً اقتهُ آخراً بعض العارفين باسرار الماسونيّة ممّن امكنهم كسر طوقها من عنقهم كبدغان (Bidegain) في كتابهِ عن السرح الماسونية (Masques maçonniques) وكوبان البانسلي (Coppin-Albancelli) في كتابهِ (Le Pouvoir

(occulte contre la France) انّ زعماء الماسونية طرقاً شتى من المكر يخدعون بها ذويهم فانهم اذا رأوا رجلًا مستعدًا لقبول اسرار الماسونية متأهبًا لخدمة مصالحها جامعاً لصفات التدبير يكشفون له اغمض الاسرار دون ان يمرّ في الدرجات السُّفلى والعليا فيصبح رئيساً ولا احد يعرفهُ من الماسون غير الذين اختاروهُ

وكذلك يعافون عن الترقي في سلّم الدرجات الذين يرغبون في ضمّهم الى شيعتهم ليتباهوا بهم. فهكذا يصنعون مع بعض الملوك فانهم يختارونهم كرؤساء الماسونية شرفاً ليصفو لهم الجوّ في ظلّ حمايتهم. وهكذا صنعوا مع بعض وجوه بلادنا فانّ الماسون في دمشق بعد السنة ١٨٦٠ ارسلوا الى الامير عبد القادر شهادةً بديعة الالوان اعلنوا فيها انهم اختاروهُ كاحد مقدَّميهم ومذ ذاك الوقت كانوا يفتخرون باسمه كما فعل شاهين بك مكاريوس في فضائل الماسونية (كذا) (ص ١٥٥—١٨٧) وجرجي زيدان في كتاب تاريخ الماسونية حيث بالغ بقوله (ص ٢٠٠): «دخلت الماسونية الى دمشق بمساعي الطيّب الذكر المغفور له الامير عبد القادر الجزائري». والصواب ما ذكرنا كما اكّده لنا بعض الثقات من اسرة الامير. وكان الماسون قصدوا ان يضمّوا على الطريقة نفسها الى جماعتهم السيّد جمال الدين الافغاني الّا انهُ عرف غايتهم ولم يرضَ أن يكون كطُعمٍ لشادتهم يصطادون باسمه السذّج

الباب السادس

المحافل الماسونيّة في سوريّة وملحقاتها

علمتَ في الفصول السابقة اجمالًا ما يتركّب منهُ الحرَم الماسوني في ظاهرهِ وباطنهِ وفي سرّهِ وعلنهِ. ولعلّك تطلب منّا أيها القارئ العزيز ان نفيدك شيئاً عن حالة الماسونية في العالم ثم نوقفك على حالتها في هذه البلاد مع مبلغها من الماسونيّة العموميّة فنقول:

يؤخذ من القائمة الرسميّة التي نشرها في جرنال القوائم الباريسي (Journal de Statistique de Paris) سنة ١٩٠٧ في الصحيفة ٢٠٨ الى ٢٢٠ احد زعماء الماسون الحائزين الدرجة ٣٣ الاخ .·. شرل ليموزان (F.·. Charles M. Limousin) انّ في العالم ١٠٦ ايالات ماسونيّة (Puissances maçonniques) ففي اوربّة منها ٢٤ وفي اميركة الشماليّة ٥٢ وفي اميركة الجنوبيّة ٢١ وفي استرالية ٧ وفي افريقية ٢. وهي تحكم على نحو ٢٠,٠٠٠ محفل ومع كثرة هذه المحافل والايالات لا

يبلغ عدد الماسون مليونين معدَّل كل محفل مئة عضو. وهذا بعيد عن العدد الذي يزعمهُ البعض من أنهم ١٥ مليوناً فدونك جدول اهمّ الايالات مع عدد محافلها والاعضاء المنضمّين اليها

البلاد	المحافل	عدد الماسون
ايالة انكلترة	٢,٦٠٠	١٢٠,٠٠٠
« اسكوتلنده	١,٠٠٠	٥٠,٠٠٠
« ارلنده	٤٥٠	١٥,٠٠٠
« فرنسة (شرق فرنسة الاعظم)	٤٠٠	٢٧,٠٠٠
« فرنسة الاسكوتلندية	٨١	٥,٠٠٠
« ايطالية	١٦٥	٢٠,٠٠٠
« برلين	١٢٧	١٥,٠٠٠
« برلين الملكية	٦٦	٧,٠٠٠
« المانية	١٢٨	١٢,٠٠٠
« اسبانية	٥٩	٣,٥٠٠
« اسوج	٣٥	١٢,٠٠٠
« اميركة الشمالية	١٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠
« اوستralية	٧٠٠	٢٠,٠٠٠
« اميركة الوسطى والجنوبية	٥٥٠	١٠٠,٠٠٠

فمن هذه القائمة الرسمية ترى انَّ معظم انتشار الماسونيَّة حاصل في البلاد البروتستانيَّة ولا غروَ فانَّ المبادئ البروتستانيَّة تمهد الطريق للماسونيَّة وكلا المذهبين مبني على حريَّة الضمير. على انَّ الماسونيَّة اضرّ ولوأ في البلاد الكاثوليكية كفرنسة وايطالية واسبانية فترى اعضاءها مع قلَّة عددهم في جلبة عظيمة تدوي لها الآذان وتقشعرّ لها الابدان. والسبب واضح وهو انَّ الشيطان يجد في تلك البلاد مقاومةً لم يجدها في الاقطار البروتستانيَّة فانَّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها ادركت الخطر العظيم الذي يتهدَّد الممالك والهيئة الاجتماعيَّة بفوز الماسونيَّة ولذلك لم تزل بصوت احبارها وخطبائها وكتبتها تبارز تلك الشيعة الكفريَّة وتبلي البلاء الحسن في محاربتها

امَّا الماسونيَّة في هذه البلاد الشامية فانها كانت الى ايام الدستور في حالة حرجة كما يظهر من تاريخ الاخ .·. جرجي زيدان في الصفحة ١٩٦ من كتابهِ قال جناب

هذا المحقق (الذي نستغرب ضحكاً كل مرّة نفتح كتابهُ تاريخ الماسونيّة العام وفيهِ من العجائب ما يُغني جراب الكردي) انّ اول محفل تأسس في سوريّة «قد تأسس في بيروت سنة ١٨٦٢ تحت رعاية الشرق الاعظم الاسكوتلاندي بشرق فلسطين نمرة ٤١٥ وترأس عليهِ كثير من الاخوة الافاضل. اما لغتهُ الرسميّة فالفرنساويّة». ويفيدنا جنابهُ انّ امور هذا المحفل لم تنل نجاحاً فتوقفت اعمالهُ من السنة ١٨٦٨ الى السنة ١٨٨٨ حيث تجدّدت لهُ الرخصة «فرُمّم هيكل اورشليم بعد جلاء بني اسرائيل». وعلى ظنّنا انّ هذا محفل فلسطين قد مات ودُفن رغماً من افتخار شاهين بك مكاريوس بكونهِ احد اعضائهِ

ثم افادنا جناب جرجي افندي زيدان انّ في السنة ١٨٦٩ تأسس في بيروت محفل آخر تحت رعاية الشرق الاعظم الفرنساوي بشرق لبنان ولغتهُ الرسميّة هي العربيّة اما مخابرتهُ مع الشرق الفرنساوي فبالفرنساويّة. وكان رئيسهُ في اول ايامهِ الاخ .·. جرجي الخوري ثم ترأس نقولا حبيي وكاتب اسرارهِ الاخ .·. مكاريوس كما يظهر من ورقة رسمية هي لدينا تاريخها في ٨ شباط سنة ١٨٧١ . ولدينا ايضاً قائمة الاعضاء الذي دخلوا فيها وهم ١٠١ اغلبهم من الروم والبروتستانت والمسلمين واليهود مع بعض افراد من الكاثوليك الموارنة والملكيين والارمن. وكانوا يدفعون للدخول ١٢ ليرة. وهنا فصل مُضحك من اعمال هذا محفل لبنان والسبب عن عدم نجاحهِ نرويهِ بالحرف عن جرجي افندي زيدان ليرى القرّاء خوف الماسون من جماعة الجزويت وقد ادّعى مع ذلك الاخ .·. شاهين مكاريوس وفرة عددهم في المحافل البيروتية (!!!) قال:

«والى هذا المحفل انضمّ كثيرون من اعيان البلاد وعلمائها ورجال حكومتها (كذا) على اختلاف مذاهبهم فكان رابطاً لكلمتهم ناهضاً لهم على الاعمال الخيريّة (وما هي !) فكثيراً ما قدموا على مشروعات عظيمة (مثل اي !) تعود الى تأييد الدولة والامّة ورفع شأنها. وانّما عيبهُ كعيب غيرهِ من الجماعات الماسونيّة إنّهُ يعمل ما يعملهُ تحت طيّ الخفاء (ولِمَ ?) فلا يرى من العالم الخارجي الّا مقاومةً واضطهاداً (مساكين الذئاب الذين يضطهدهم الخراف !) يحولان دون اتمام المشروع فضلاً عمّا يقود اليهِ الاضطهاد من القنوط (اسكوم لئلّا يقتلوا حالهم) وفتور الهمّة. واشدّ مقاومي الماسونيّة (اه ! اه !) في سوريّة (بل قل في العالم كلّهِ) جماعة الجزويت وقد انشأوا لهذا الغرض وغيرهِ جريدة دينيّة في بيروت دعوها جريدة البشير وموضوعها مقاومة كل المذاهب والاديان الّا المذهب الكاثوليكي والايقاع بكل الجماعات الّا جماعة الجزويت (اهذا صحيح يا افندي ! ما اعظم خرطاتكم يا ماسون !) وليس غرض كتابنا التكلّم عمّا وراء ذلك (الحق معك)»

ثم اردف جناب الكاتب قولهُ بفصلٍ مفعم اسفاً وتلهفاً على الماسونية وما لحقها من الشدائد التي تفوق على اضطهادات الوثنيين للمسيحيين في اوّل الكنيسة فاعدّ من اخصّ تلك الاضطهادات ان روساء الكاثوليك ابوا حسنةً تصدّق بها الماسون على قرائبهم (كذا) فاقرأ وارثِ لهذه الشيعة المنكودة الحظّ قال (ص ١٩٨):

« قس على هذا كثيراً من مثله وتأمّل بما اقيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تخور لها الهمم وتُنكَر من اجلها الاعمال (وا اسفاه!) امّا العامّة فلا تسأل عمّا غرس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتى اصبح اسمهم مرادفاً لادنى صفات الاحتقار عندهم (او ليس الحقّ معهم ان يحتقروا من ينكر وجود الله ويقاوم الدين كما اثبتنا من اقوالكم!) فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم فارماسون (كما انّ الماسون اذا ارادوا شتم الكاثوليك ما وجدوا انسب من قولهم جزويت!) للافادة عمّا في ضميرهم نحي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق خنّاس وما شاكل (وما صوت الشعب الّا صوت الله!)...

ثم يتهلّل جنابهُ فرحاً من تغيير هذه الحالة السيّئة فينشد نشيد الخلاص قائلاً:

امّا الآن وقد ازهرت سوريا وعلى الخصوص مدينة بيروت بالعلم والفلسفة (!!) وتعدّدت فيها المدارس (اهذه مدارس الماسون!) والجرائد (ذات الصبغة الماسونية!) وانتشرت فيها حرّية الافكار واستنار العامّة بالمبادئ الحقيقية (وما هي! اي معاداة الدين في كل مظاهره) فلم يَعُد السوريّون على ما كانوا عليهِ من مثل ما تقدّم لكنّهم اصبحوا ينظرون الى الماسونيّة نظر الاعتبار والى ابنائها نظرهم الى رجال العلم (ومن هم هؤلاء العلماء!) واصحاب النفوذ (لكثرة جلبتهم وصخبهم كما اظهروا في مسألة فِرّر!) وبعد ان كان هؤلاء الاعضاء يتستّرون في اجتماعاتهم (كأنّهم لم يتستّروا الى اليوم!) اصبحوا يفتخرون بذلك اللقب (اذكر لنا يا جناب الكاتب اسماء الذين يفتخرون بذلك وانشر اسماءهم اذا لم تستحي!) افتخارهم باشرف الالقاب واصبح الموارج (مثلنا نحن العميان!) يودّون لو انّهم في عدادهم ليجتنوا من ذلك الشرف (فسوت دون ان نُعطى لنا نقطة من هذا الكوثر الماسوني!) وما ذلك الّا لأنّ الحق (اي الكذب) يعلو (اي يُخذَل) ولا يُعلى عليهِ (ولا يسود) ولا بدّ من احقاقهِ (اي ازهاقهِ) لأنّ الباطل كان زهوقاً» (بالحقّ نطقت فيصح ان شاء الله المثل في الماسونيّة فوز الباطل ساعة امّا الحق فلفوزهُ الى قيامة الساعة)

وقد أُنشئ في بيروت بعد تاريخ الاخ .·. جرجي زيدان محافل اخرى كنّا نودّ ان مؤرّخي الماسون يلخّصون لنا اعمالها الخيريّة والعلميّة والاجتماعيّة التي اتوها واذا هي طنطنة كلام ليس الّا كمحفلي فلسطين ولبنان. فمن هذه المحافل محفل زهرة الآداب وهو ايضاً قديم نبي الاخ .·. جرجي زيدان تعريفهُ وقد تأسس سنة ١٨٧٣ فبلغ عدد

اعضائهِ الاربعين . وفي سنة ١٨٧٥ خطب فيهِ الاخ .·. جبالين خطبةً رشقها الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس بالحرم واوقفت الحكومة بايعازهِ ذلك المحفل مدَّة ثم عاد الى عقد حفلاتهِ وفي سجلّاتهِ السريَّة خطبٌ لاديب اسحاق بينهما خطبة طعن فيها بالحكومات وخصوصاً بالدولة العثمانيّـة . فترى الماسون لا يعظّمون دولةً ما لم توافق اغراضهم والّا رشقوها بألسنة حداد

وقد أُنشئ بعـد ذلك في بيروت محفل فينيقية ومن اعضائهِ شاهين بك مكاريوس كما ترى في القانون . وقد اثبت في كتابهِ الآداب الماسونيَّة (كذا) ارجوزة قرأها في هذا المحفل (ص ٢٠٧) موضوعها مدح ابناء الارملة

ومن المحافل الماسونيَّة الحديثة محفل السلام تأسَّس تحت رعاية المحفـل الاكبر الاسكوتلندي نمرة ٩٠٨ ولدينا قرار بامضاء رئيسهِ الاخ .·. الدكتور اسكندر بارودي تاريخهُ غرَّة شباط سنة ١٩٠٧ . وذكرنا في عدد سابق رسالة احد الطّالبين «زيادة الاجرة» فيهِ — ومنها المحفل العثماني جاء آخرًا احد شيوخ الماسونية المصريَّة الاخ .·. سكاكيني ليفتحهُ في بيروت والى الآن لم تطلع براعيـةُ (بدءه بالكافوليّه)

امَّا لبنان فقد أُنشئ فيهِ محفل صنّين في الشرير سنة ١٩٠٤ تحت حماية الشرق القطبي الاسكوتلندي الاعظم في ايدنبورج نمرة ٩٦٦ ولدينا قانونهُ المطبوع سنة ١٩٠٥ ويُذكر هناك انَّ رئيسهُ الاخ .·. فارس بشاره مشرق تسلَّم البراءة السـامية (كذا) التي أُرسلت اليهِ مع وفد خصوصي من قبل «الاخ المحترم الدكتور اسكندر نقولا بارودي»

وقد أُنشئ في هذه السنة محفل آخر في المعاملتين باسم محفل «المغـارة الســوداء» فاستحسنّا هذا الاسم وتذكَّرنا مغارة اللصوص التي تكلَّم عنها الربّ . وما احرى بكل هيكل ماسوني ان يُدعى بهذا الاسم اذ غاية الماسون من انشاء تلك المحافل كما بيَّنـا انما هي اختلاس الايمان من عقول السذَّج ونصب المكايد لكل سلطة دينية ومدنية

وقد افادنا الاخ .·. جرجي زيدان انهُ ما عدا محافل بيروت «قد أُقيمت محافل عديدة في دمشق وحمص وحلب وعينتاب وانطاكية وآدنه» ولم يعرّفنا شيئًا من اعمالها الطيّبة . وانما نعرف عن دمشق انهُ أُنشئ فيها محفل يُعرف بمحفل سوريا دخلهُ عدد من المسلمين والروم الارثذكس وبعض الروم الكاثوليك ونعلم ايضاً انَّ اصحاب الشيعة هناك كما في بقيَّة الامكنة منسوبون الى الزندقة يشير اليهم من يعرفهم اشارة من باع

دينهُ بدنياهُ . كذلك في القدس الشريف محفل ماسوني يُدعى محفل سليمان الملوكي (كوَيس ورخيص) . وفي يافا محفل لسكاثة سليمان وشاهين بك مكاريوس احد اعضائهما الشرفيين . امَّا مصر فقد تعدَّدت محافلها حتى اناقت على العشرين (وصار اللفت قنطاره بدرهم)

هذا وان للماسونية ما عدا محافلها ودرجاتها واعضائها « الكرَسين » ملحقات تُعدّ كذنَب لذلك التنين يسحبهُ من ورائهِ حيثما حلّ نريد تلك الجمعيات التي ينشئها الماسون وينفخون فيها روحهم الشرير بواسطة نفر قليلين من ذويهم . فيكون اصحاب تلك الجمعيات طوع بنانهم وهم لا يدرون . وتجد مثل هـذه الجمعيات في كل بلد احتلَّتهُ الماسونية . وقد رأينا في بيروت وجوارها مثل هذه الجمعيات التي كانت منقادةً لاوامر الماسون ومعظم اصحابها يتبرأون من الماسونية كما حدث في غزير وجبيل وجزّين والبترون وزحلة وامكنة اخرى في هذه السنين الاخيرة

فنختم هنا هذا القسم الثاني الذي قصدنا فيه تعريف نظام الماسونية ودرجاتها واسرارها . وفي قسم ثالث ان شاء الله نبين آداب الماسونية الصحيحة مستندين كما فعلنا سابقاً الى اقوال الماسون مع استعدادنا التام الى الاقرار بخطاءنا ان اراد الاخوة الثلاث النقط ان يكشفوا لنا غلطنا هدانا الله وأياهم الى كل حقّ وخير فانهُ السميع المجيب

اليوبيل الذهبي

لشركة مار منصور دي بول البيروتية (١٨٦٠–١٩١٠)

نهنئ كل اعضاء شركة مار منصور دي بول البيروتيَّة لبلوغها السنة الخمسين من تاريخ انشائها في مدينتنا فما احرى هذه الجمعيَّة بان تشكرهُ تعالى الذي اختارها لتنشر في حاضرتنا لواء الاعمال الخيريَّة فتظهر لكل ذي عينين انَّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة حريصون على عمل الخير اكثر منهم على الكلام الفارغ . وان كان الله لا ينسى قدح الماء البارد المُعطى باسمهِ فكم يكون ثوابهم عظيماً على مئات الالوف التي صرفوها وعلى اعمال البرّ التي باشروها فكم من يتامى ربُّوهم وصغار هذَّبوهم وغرباء آووهم وفقراء سدُّوا عوزهم ومحبوسين زاروهم ومرضى عـادوهم ومنكوبين عزُّوهم وهم لم يبتغوا

في كل ذلك غير وجه الله افليس لهم يقول تعالى في يوم الدين : « تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المُعدّ لكم منذ انشاء العالم لاني جُعت فاطعمتموني وعطشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني وعرياناً فكسيتموني ومريضاً فعدتموني ومحبوساً فأتيتم اليَّ . فالحق اقول لكم انكم كلماً فعلتم ذلك باحد اخوتي الصغار فبي فعلتم » . وكنّا نودّ بمناسبة هذا العيد الخمسيني ان نفصّل تاريخ شركة مار منصور دي پول فعاقنا عن ذلك ضيق المجال فأجّلنا هذه المقالة لعدد قادم ونكتفي هذه المرّة بتقدمة تهانئنا الحبية للشركة مع اثبات القصيدة العامرة الابيات التي نظمها حضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة الزاهرة

ر٠ش

كلمة في البرّ وعمّاله

لحضرة الخوري رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

لكلِّ امرئٍ في كل عصرٍ فمائلُ ... على الفضلِ والاصل التليد دلائلُ
تفاوتتِ الأخلاقُ والخَلْقُ في الورى ... فعُدّت بألفٍ الألفِ تلك الشمائلُ
مِنَ الناسِ مَن يَصبو الى اللهوِ والوَنى ... ومنهم له من مطمح النفسِ شاغلُ
ومنهم أنانيٌّ اسيرُ مَلَذَّةٍ ... بَطينٌ خسيسٌ فاقدُ الحسِّ خاملُ
ومنهم سما نفساً وقلباً وقالباً ... تُشيرُ اليهِ بالبنانِ الأماثلُ
ومنهم من المعنى خليٌّ كأنّهُ ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلُ
اذا المرءُ لم ينفع ويُولِ مآثراً ... فسيّانِ وجدانٌ وموتٌ يُعاجلُ
لعمرُكَ خيرُ الناسِ مَن فاض فضلُهُ ... وشرُّ الورى شخصانِ نَذلٌ وباخلُ
وأولى بني الانسان بالمجد والثنا ... قَؤولٌ فَعولٌ باسط الكفِّ باذلُ
ومَن يُؤثِرِ الحُسنى على نفعِ ذاتهِ ... فذاكَ الذي فيهِ تناهت فضائلُ
فذكرُكَ يا « منصورُ » تحصيلُ حاصلٍ ... ولا يقتضي أن يُسهِبَ القولَ قائلُ
نَهجتَ الى فعلِ المبرّةِ منهجاً ... بهِ الناسُ أجواقَ السماءِ تُساجلُ
لقد عمَّ منكَ الفضلُ غرباً ومشرقاً ... ووَسميُّ (١)احسانكَ البرّةَ شاملُ
فلمّا مضت من نصفِ قرنٍ نوائبٌ ... بلُبنانَ فاضت من نداكَ جداولُ
حَييتَ وتحيا في جسومٍ اماجدٍ ... قلوبُهمُ للبائسينَ منازلُ

(١) المطر الذي ينعش الارض

هم خمسةٌ (١ «اخشى اقولُ اناملٌ»   ولكن بكفّ اللهِ تلك الأناملُ
فاربعةٌ منهم اجابوا إلههم   الى دعوةٍ فيها التنعّمُ كاملُ
فقال لهم: قد كنت ظمآنَ جائعًا   سجينًا وعُريانًا ودمعيَ هاطلُ
سَقيتم وأطعمتم وزرتم كسوتمُ   ألا فادخلوا دارًا بها السعدُ نازلُ
قد انضمّ أمجادٌ اليهم أكارمٌ   كأنّهمُ للمكرُماتِ جحافلُ
فصالوا على جيش المصائب والضنى   فخرّت صريعاتٍ لديهم زلازلُ
كُماةٌ علاهم هيبةٌ ومحاسنٌ   وغُرُّ فعالٍ لا تنا وفياصلُ
يُقبلونَ برًّا والثغورُ بواسمٌ   ولا تعلمُ اليُسرى بيمنى تناولُ
غياثٌ للهوفٍ وغيثٌ لبائسٍ   ونورٌ لمن عن منهج الحقّ مائلُ
وأمُّ العجايا (٢ واليتيمُ بهم يَرى   فؤادَ أبٍ يحنو وفضلًا يُواصلُ
وبلسمُ مكلومٍ وسلوى ورادعٌ   لمن كبّلتهم في السجونِ سلاسلُ
وعُكّازُ مَن قد قوّس الدهرُ ظهرَهُ   وأعذبُ وِردٍ تستقيهِ الأراملُ
كأنهم للخيرِ جيشٌ عرمرمٌ   فكلٌّ على سُود النوائبِ حاملُ
فللهِ تأسيسٌ بنى اللهُ أسّهُ   وشادت مبانيهِ سَراةٌ افاضلُ
لقد قال ربّ الجود: من يُعطِ بائسًا   فمع ربّهِ تلك البرّةَ فاعلُ
وشربةُ ماءٍ لا يضيعُ ثوابها   فكيف بمن للمالِ والنفس باذلُ
لكم صِين عِرضٌ في البرايا وحرمةٌ   وجُفّفَ دمعٌ فوق خدّينِ سائلُ
وكم أسرةٍ أخنى عليها زمانُها   فأفضالُ مِفضالٍ ستورٌ سوادلُ
وكم غادةٍ عذراءَ ظلّت مصونةً   ولم تُلتهِما في المنكرات غوائلُ
وكم عبثت في سيّدٍ دُهمُ دهرِهِ   كما لعبَت بالمرْبات العواملُ
فهل من فتى في مأمنٍ من زمانهِ   وهل من صروف الدهر تحمي معاقلُ
فما الفقرُ فقرَ المال عارًا وخزيةً   اذا لم تكن قادت اليهِ الرذائلُ
وما الاصفر الرنّانُ مجدًا ومفخرًا   «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ»
قصورٌ سرورٌ ثروةٌ وممالكٌ   «وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ»

١) مؤسسوها واركانها
٢) جمع عجيّ وهو من فقد امّهُ

فما المالُ الّا لعبةٌ بين صِبيةٍ   يُولي ويأتي مثلها يتناقلُ
فلا يصحبُ الانسانَ للرمسِ مالهُ   ولكنْ فعلَ الخيرِ فهُ واصلُ
تذكَّرْ أيا مَن قام يكنز عسجدًا   فانك يومًا نحو ربِّك راحلُ
ويا شارب الصَّهباء قدك تلذُّذٌ   هناك فقيرٌ شاحب الجسم ناحلُ
ويا حاملًا (١ في مَتنِ نهدٍ مُطهَّمٍ   هناك فَتًى شوكَ القتادةِ ناعلُ
ويا من غدا ثوبُ الحرير يشوكهُ   هنالك عُريانٌ على الباب سائلُ
ويا باذلًا مالًا جُزافًا للذَّةٍ   ستُرديك عُقباها كفاك تجاهُلُ
حنانَيكَ يا ذا المالِ برُّكَ مغنمٌ   بدارٍ فمحمودُ البرّةِ عاجلُ
فطوبى لمن قد قام يُقرض ربَّهُ   ويكنز ما يبقى وليس يُزايلُ
فطوباكمُ يا من غرستم محاسنًا   يفيض عليها من جداكمُ وابلُ
فبيروتُ تُطريكم وتذكرُ عُرفكم   ولبنان فاحت عنه تلك الخمائلُ
فقرُّوا بذا اليوبيلِ عينًا وأنعموا   ودام لكم مجدانِ حالٌ وآجلُ

مطبوعات شرقية جديدة

M. H. Viollet : Description du Palais de Al-Moutasim et de quelques monuments arabes peu connus de la Mésopotamie (Mémoires de divers Savants à l' A. I. B., T. XII, 2de partie). *Paris, Impr. Nation.*, 1909.

وصف قصر الخليفة المعتصم وبعض آثار ما بين النهرين

قد حظينا منذ شهرين بمعرفة مؤلف هذا الكتاب الذي عهدت اليه الدولة الفرنسويّة ببعثةٍ علميّةٍ جديدة الى بلاد الجزيرة والعراق فرافقته ثانيةً في سفره قرينته المترجمة الشهيرة . امّا التأليف الذي نحن في صدده فهو ثمرة رحلةٍ سابقة تجشَّمها المؤلف سنة ١٩٠٧ واكتشف فيها من الآثار ما تجاوز كل مأمولهِ ولاسيما بقايا قصر الخليفة العبّاسي المعتصم ابن هارون الرشيد المعروف بدار الخليفة في سامرّة الوقّة وآثار قصر العاشق على خمسة كيلومترات من سامرّة وغير ذلك من الابنية التي وصفها ورسم صورها البديعة

١) حال في ظهر فرسهِ استوى

المقسّمة على ٢٢ ورقة فكاد يخلب النظر بدقّتها. وهذا الكتاب ممّا تتزيّن به المكاتب ويحسن باهل الشرق ان يجعلوهُ في دواوينهم. ذلك الى هوادة سعرهِ (٨ فرنكات). فهيهات ان نجد في مطابع الشرق ما يقرب من محاسن هذا الكتاب ورخص ثمنهِ. وممّا لم يكترث لهُ المؤلف ونحسبهُ كخلل في كتابهِ انهُ لم يُحسن نقل الاعلام العربيّة وتمثيلها بالحروف الاوربيّة مع انَّ العلماء قد اصطلحوا اليوم على كتابة هذه الالفاظ ورسم حروفها. فان شاء الله يُصلح ذلك في طبعة جديدة. ل. ر

E. J. W. GIBB MEMORIAL SERIES : THE IRSHAD AL-ARIB ILA MA'RIFAT AL-ADIB or Dictionary of learned Men of Yakût, *edited by* **D. S. Margoliouth**, D. Litt., *London*, *Luzac* C°, 1910, vol. III. Part 1, XV-218.

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب لياقوت الحموي

سبق لنا في العام الماضي (في المشرق ١٢ : ١٢٨) تعريف هذا الأثر الجليل الذي وضعهُ في تراجم الادباء احد كبار الكتبة ياقوت الرومي صاحب معجم البلدان. وقلنا هناك انَّ النسخة الأكسفرديّة التي نُقل عنها هذا الكتاب غير كاملة وهي وحيدة في جنسها. فالاستاذ المستشرق د. س. مرجليوث سعى بطبع الموجود مؤمّلاً بان احد الادباء يرشدهُ الى نسخة أُخرى اكمل من نسخة اكسفرد. واليوم قد اتمّ في هذا القسم الاوّل من الجزء الثالث ما بقي من تلك النسخة وهو عبارة عن ٢١٨ صفحة تحتوي طرفًا من تراجم الادباء الذين يبتدئ اسمهم بحرف الحاء. فاتقن طبعهُ كما فعل بالقسمين الأوّلين واستعان لضبطهِ ببعض كتب الادباء لاسيما في اواخر النسخة حيث تشوّهت بعض اوراق الاصل. وممّا افاد جناب الطابع فسررنا لهُ غاية السُّرور انَّ احد اساتذة مدرسة الآباء اليسوعيين في بومباي جناب محمّد عبّاس هدى حضرة الطابع الى نسخة فيها قسمٌ كبير من هذا المعجم تبلغ نحو جزءين ممّا تمّ طبعهُ. وهو مخطوط في السنة ٦٧٩ (١٢٨٠ م) فان شاء الله يخبرنا قريبًا جناب المسيو مرجليوث بانهُ وقف على بقيَّة المفقود من هذا السفر الجليل. وممّا اعجبنا في هذا الجزء تراجم ابي علي الفارسي (٩–٢٢) وابي هلال العسكري (١٣٥—١٣٦) وخصوصاً سيرة ابي سعيد السيرافي (٨٤–١٢٩) وفيها تلك المناظرة الجميلة التي جرت بين ابي سعيد ومتى بن يونس في المنطق والنحو وكان جناب الطابع نشرها سابقًا ونقلها الى الانكليزيّة في المجلّة الاسيويّة الانكليزيّة

سنة ١٩٠٥. هذا ومع ما قلنا عن سقم الاصل فلا عجب ان وقع في طبعهِ بعض اغلاط. وما الكمال الّا لله
ل. ش

P. C. Charon: Histoire des Patriarcats Melkites, T. II. *fasc.* I. pp. 400, *Rome*, 1910.

تاريخ البطريركيات الملكيَّة للاب كيرلس شارون

هو التاريخ الجليل الذي وقف الاب العلامة كيرلس شارون سنين طوالًا من حياتهِ لجمع موادّهِ المنثورة فدرسها درسًا انتقاديًا واستخلص ما رآهُ اقرب الى الحقيقة فنشر كثيرًا من فصولهِ في مجلّة اصداء الشرق. ولمّا كثرت لديهِ الموادّ وحان وقت ضمّها الى بعضها في تاريخ منفرد اعاد فيها النظر ودقّق في التفاصيل وزاد عليها معلومات عديدة توصّل اليها في مكاتب الشرق والغرب فجاء سفرًا معتبرًا لا مثيل لهُ في تواريخ بلادنا من حيث دقّة البحث والجدّ وراء الحقيقة ووفرة الموادّ وتعداد الآثار. وقد تلقّينا الآن الجزء الاوّل من المجلد الثاني وهو يحتوي تاريخ البطريرك المثلَّث الرحمات مكسيموس مظلوم الذي تُغني شهرتهُ عن وصفهِ لما ازدان بهِ من الهمّة والدراية والاقدام على الامور العظام لخير طائفتهِ الكريمة وتحريرها من ربقة الاضداد وتوسيع نطاق ابرشيّاتها ورسالاتها ورفع شان طقوسها وعوائدها فترك بين ابناء الطائفة الملكيّة ذكرًا لا يمحوهُ مرور الاعوام. ولم يحجم حضرة الكاتب المدقق عن ذكر ما ترآى لهُ من الهفوات في اعمال هذا البطريرك الخطيرة مستندًا الحكامة الى الآثار العصريّة والنصوص التاريخيّة وما الكمال الّا لله عزّ وجلّ. على ان هذه النقائص قليلة في جانب ما للسيد مكسيموس من السجايا الفريدة ولا يسع الطالع لتاريخ الاب شارون الّا ان يكون معهُ ان البطريرك مكسيموس شهم نادر المثال في الغيرة والهمّة. ونحن نثني على معارف الكاتب ونرجو لكتابهِ نجاحًا عظيمًا
ا. ر

E. Mangenot: La Résurrection de Jésus. G. Beauchesne et C^ie^, Paris, 1910, pp. 404, Pr. 3f, 50.

قيامة السيّد المسيح

ليست غاية مؤلف هذا الكتاب ان يثبت قيامة المخلّص بل قد حصر بحثهُ في دائرة خصوصيّة اي الردّ على الاعتراضات التي اخترعها الاباحيّون لابطال هذه العقيدة الجوهريّة. ففي مقدّمتهِ تتبّع بعض المشاكل التي لشاعها سابقًا اعداء النصرانيّة ليؤيدوا

رأيهم الباطل وكانوا يعدّونها من البراهين القاطعة وقد ظهر بعد ذلك بطلانها لاعين الجميع ثم انتقل الى ايضاح مزاعم المحدثين فدحضها بكل قوّتها مستندًا الى اقاويلهم دون ان يخفي شيئًا من حججهم ثم تخطّى الى تزييف تلك الآراء في قسمين تقدّم في القسم الاوّل شهادة الرسول المصطفى القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل قورنثوس (ف ١٥ عدد ٥–٨) وتاريخها بين السنة ٥٢ الى ٥٧ م اعني بعد قيامة الرب بعشرين سنة. ففحصها فحصًا علميًّا على مقتضى القوانين المقبولة بين كل العلماء وكشف عن غوامض معانيها وازال مشبوهاتها وبيّن ردًّا على اقوال الملحدين ان القديس بولس لم يقل مطلقًا انّ الرب قام بجسد غير جسده بل اوضح صريحًا انّ جسد الرب هو جسده الذي صُلب ثم بُعث لكنّه في هيئة المجد والبهاء لا كما كان في الذلّ والهوان. امّا القسم الثاني فقد ضمّنه المؤلف شهادة الاناجيل القانونيّة الاربعة وجعله كالقسم الاوّل ثلاثة فصول بحث فيها بالتوالي عن حقيقة قيامة الرب ثم عن شهادات النساء الصالحات والرسل الحواريين والتلاميذ البالغ عددهم الى خمسمائة الذين كلهم في ظروف مختلفة شاهدوا الرب بعيونهم وادّوا شهادتهم امام الحكّام وسلاطين الارض رغمًا عمّا قاسوهُ من المحن لم يجبرهم على اداء الشهادة غرضٌ الّا الحقّ. ثم فحص المؤلف اعتراضات المعترضين وبيّن ضعفها وانتقل الى البحث عن خواصّ جسد الرب بعد قيامتهِ على حسب رواية الاناجيل المقدّسة. وألحق الكتاب بلحقين الاوّل في صَلب السيد المسيح والثاني في صعودهِ الى السماء جعلهما كتتمّة للابحاث السابقة. فترى ما لهذا الكتاب من الخطر العظيم وغاية ما نتمنّى انّ المؤلف وهو اليوم احد كبار اساتذة الاسفار المقدّسة يوسع دائرة ابحاثهِ ولا يقصرها فقط على اعتراضات اعداء الدين بل يجعل كتابهُ كتابًا مستوفيًا في بيان هذا المعتقد واصولهِ ونبوات الانبياء عنهُ وسوابقهِ وتواليهِ ليجد القارئ في كتاب واحد كل ما يختصّ بهذه العقيدة التي هي اساس الدين المسيحي

الاب ي. ديلنيمر

René Duboscq : Les Étapes du Sacerdoce. Paris, Bloud et Cie, 1910. 1 vol in-16. Pr. 1f, 75.

الكهنوت ودرجاته

انّ الكهنوت عماد النصرانيّة اذا سقط تلاشت معهُ ولذلك قد سعت الكنيسة في كل اطوار حياتها الطويلة ان تعزّز هذا السرّ وتُعدّ لخدمة الهياكل كهنةً جامعين لكل

صفات البرّ والقداسة ليقوموا باعباء مهنتهم القيام الحسن كما أنها وضعت لرتب درجات الكهنوت صلوات غاية في التقى تملأ القلوب تخشعاً. وهي تفيد ليس فقط المترشحين لدرجات الكهنوت بل لكل مسيحي يبتغي معرفة ديانته. فتسهيلاً لهذه الغاية قد جمع مؤلف الكتاب المذكور آنفاً كل ما من شأنه ان يفيد معرفة الرتب والدرجات الكهنوتية مع بيان اصلها وفصلها وغايتها ومعانيها الرمزية والحقيقية. فنوصي به كل محبي الاسرار المقدسة من الاكليريكيين والعلمانيين ل. د

K. Krumbacher : Populaere Aufsaetze, Leipzig, Teubner, 1901, XII-388 p., *Prix broché* 6 Mk.

ابحاث عمومية

فقدت الآداب اليونانية آخرًا احد جهابذتها الدكتور كرومباخر مدير المجلة البوزنطية الالمانية (Byzantinische Zeitsch.) من اساتذة كلية مونيخ وعمره لا يتجاوز ٥١ سنة فكانت وفاته ضربة اليمة على الدروس اليونانية التي خدمها خدماً جليلة لا تُنسى بمؤلفاته المتعددة الاثيرة. وكان قبل هذا المصاب بقليل جمع في كتاب واحد جملة ابحاث متفرقة يبلغ عددها ٢٤ بحثاً نشرها في مجلات علمية مختلفة وضمّنها كثيراً من المعلومات في احوال اليونان القدماء والمحدثين وفي تاريخهم وجغرافيتهم وعاداتهم وألبس هذه المقالات اثواباً قشيبة خاطها قلمه المتفنن فاتى كتابه كوداعه الاخير لعالم اليونان بل حلية نافعة قضاها كلها في الشغل والنشاط فختمها بخدمة اخيرة للآداب اذ وفّر على العلماء تعب التفتيش عن تلك الشذرات المتفرقة ل. د

العروة الوثقى

طُبعت على نفقة حسين محي الدين الجمال صاحب جريدة البابل

في مطبعة التوفيق لنسيب افندي صبرا سنة ١٣٢٨ ص س-٢٧٧

ظهرت العروة الوثقى الى عالم الوجود في باريس في تاريخ ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠١ الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ وانقصف غصنها رطيباً في ٢٦ ذي الحجة لثمانية لشهر من عمرها القصير. على انّ من الاغصان ما لا يحتاج الى زمن طويل ليورق ويزهر ويثمر فذلك ما جرى للعروة الوثقى بهمّة مدير سياستها الكبير السيد جمال الدين الافغاني ومحرّرها الأول الشهير الشيخ محمد عبده. ففي تلك المدة رمت الجريدة الى غايتين احداهما

سياسية لماكنة الاحتلال الانكليزي في مصر وهو غرض ليس من شأننا الخوض في غماره وعندنا انّ السيّد جمال الدين لو عاد الى الحياة لرأى في الاحتلال الانكليزي اليوم غير رأيه سابقًا لِما صارت اليه مصر حاضرًا من الترقي والأمن ونهاية الاستبداد وان كان الانكليز لا يقصدون في سياستهم سوى منفعتهم الخاصة. وقد ادرك الامر جناب الشيخ محمّد عبده بعد عودته الى مصر فرأى الانكليز بعين خالية من التحزُّب والتعصب. فمن هذا القبيل لم نجد في اعادة طبع العروة الوثقى الّا افادةً تاريخية في احوال المصريين قبل ٢٥ سنة. اما الغاية الثانية فهي خدمة الآداب والسعي في صلاح الأمّة وذلك غرضٌ اشرف توخّاهُ السيّد الافغاني في مقالات هذه الجريدة كما جعلهُ نُصب عينهِ في كتاباتهِ السابقة والتالية. فلو لم يكن سوى هذا النفع من تكرار طبع العروة الوثقى لكانت اهلًا بهِ. فنشكر جناب الهمام حسن افندي محي الدين الحبّال على هذه الأثرة الادبية ونحضُّ محبي الآثار العربية على النظر فيها ل. ش

الاستمناء

تأليف الدكتور هـ. فورنيه وتعريب الدكتور مقصود

طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٩١٠ ص ط– ١٦٠

عادة قبيحة يستسلم اليها بعض اغرار الشبّان فلا يلبثون ان يفقدوا قواهم بل دم حياتهم فتطرأ عليهم الاسقام من سلّ وانحطاط في القوى وامراض عصبيّة شتى ربّما بلغت بهم الى حدّ الجنون. فعمد الدكتور مقصود الى كتاب افرنسي وضعهُ احد كبار اطبّاء باريس فنقلهُ الى العربيّة وفيه وصف هذا الداء القتّال واسبابهُ ومعلولاتهُ وعلاجهُ. وعندنا انّ افضل طريق لعلاجهِ ما سها عن ذكرهِ المؤلف نريد العلاج الديني لاسيما الاقتراب من الاسرار المقدّسة كالاقرار بالذنوب الى الكاهن وتناول القربان الاقدس ورسوخ خوف الله في قلب الشاب وكثيرًا ما رأينا شبّانًا اقلعوا عن تلك العادة السيئة بهذه الوسائط بعد ان كادت عادتهم تودي بحياتهم. ومن ثم لا يدهشنا ما نقلهُ المؤلف في كتابهِ عن الدكتور تود (Tode) انّ شابًا متديّنًا اكدَ لهُ « انّ تأمّلهُ في الصليب أثّر عليهِ في ترك الاستمناء اكثر من مطالعتهِ لتأليف الدكتور تيسو عن تقبيح هذه العادة ». وهذا الكتاب لا تصلح قراءتهُ للشبان وانّما يفيد الآباء والأمهات ردًّا لاولادهم عن اجتراح هذا الاثم الشنيع الذي يجنون بهِ على نفوسهم بل على الهيئة الاجتماعية كلّها ل. ش

Ni Ephèse ni Panaghia-Capouli mais Jérusalem. Etude critique et historique sur LE LIEU DE LA MORT DE LA Ste VIERGE. Par **Jean Marta** Missionnaire apostolique et chanoine du S. Sépulcre, *Jérusalem. Impr. des PP. Franciscains*, 1910, p. 70.

وفاة مريم العذراء في اورشليم

انّ وفاة السيّدة البتول في اورشليم قضيّة تاريخيّة اُتّفق على صحّتها اهل الشرق والغرب معاً حتى ذهب المؤرّخ تيلمون في القرن السابع عشر الى أن وفاتها السعيدة قد جرت في مدينة افسس مستنداً لتأييد زعمه الى نصّ مُبهم من اعمال المجمع الافسسي. ولمّا وجدت حديثاً في جوار افسس في باناغيا كابولي آثار كنيسة قديمة على اسم السيّدة ارتأى البعض انّ تلك الكنيسة قبرت فيها العذراء قبل انتقال جسمها الطاهر الى السماء. فتزييفاً لهذين الرأيين وضع حضرة قانوني القبر المقدّس الخوري حنّا مرتا هذا الكتاب وشحنهُ بالشواهد التاريخيّة التي تنفي هذا الزعم الباطل بل اثبت انّ السيّدة الطاهرة لم تسافر مطلقاً الى جهات افسس خلافاً لبعض القائلين بذلك. فنهنّئ حضرة الخوري مرتا على انتصاره للحقّ وقشع سحاب الاعتراضات التي لاذ اليها الخصوم ولعلّنا نعود الى هذا البحث مرّةً أخرى ان شاء الله بمناسبة عيد انتقال العذراء ونقتبس شيئاً من انوار هذا الكتاب

ل. ش

H. Boehmer, Prof. à l'Univ. de Bonn. **Les Jésuites**, ouvrage traduit de l'allemand avec une introduction et des Notes par G. Monod M. J . . . , *Paris, A. Colin*, 1910, pp. LXXXIII-505, Pr. 4 fr.

اليسوعيّون

خُدعنا بما وصفت بهِ هذا الكتابَ المجلّةُ الانتقاديّة (RC, 1910, p. 233) حيث قالت « انّ مؤلّفهُ وضعهُ متوخّياً فيه روح الانصاف نحو رهبنةٍ طالما تحامل عليها اعداؤها وشنّوا عليها الغارة دون تعقّل ». فهذا ما حدا بنا الى الرغبة في مطالعتهِ وهو تأليف بروتستاني لاحد اساتذة كليّة بون في المانية وترجمهُ الى الفرنسويّة احد ائمّة البروتستانت في فرنسة المسيو مونو وصدّرهُ بمقدّمة مطوّلة في الرهبانيّة اليسوعيّة. فما اشدّ ما كانت خيبة آمالنا لمّا وقفنا على الكتاب وتصفّحناهُ واذا هو صورةٌ حيّةٌ لاوهام البروتستانت وتخيّلاتهم الباطلة في اليسوعيين وهم لم يعرفوا شيئاً من امرهم سوى التشنيعات والمنكرات التي يتناقلها جزافاً اعداء اليسوعيين منذ ٣٥٠ سنة دون ان

يجهدوا نفوسهم على التفتيش والانتقاد ونبذ الغرض الاعمى . فكيف يا ترى يمكن الكاتب ان يحكم الحكم العدل في الرهبانيّة اليسوعيّة والقديسُ اغناطيوسُ على قوله في اوائل كتابهِ كان منقادًا للعمل ليس بروح الله ولكن بقوّة مخيّلتهِ التي كانت تصوّر له الرؤى كما يشاء . وسيانِ عندنا بعض المدح والقدح الذين تراهما في هذا الكتاب لليسوعيين فاننا اذا اردنا تزييف اقوالهِ لما كفى بضعة مجلّدات وحسبنا لنقض مزاعم كاتبهِ ان نحيلها الى كتاب آخر وضعهُ البروتستاني نومان (Dr v. NAUMANN (Pilatus) : Der Jesuitismus. *Regensburg*, 1905, pp. 590) وهو قد لقّب نفسهُ « بيلاطس » فزكّى الرهبانيّة اليسوعيّة من كل المثالب الموجهة اليها من اعدائها وختم كتابهُ بكلمة بيلاطس لمّا ابى الحكم على المسيح قائلًا (يوحنا ١٩ : ٦) : « اني لا اجد فيهِ علّة » . وفي هذا برهان جديد على انّ الرهبانية اليسوعية حقّقت فيها قول سمعان الشيخ في المسيح الذي انتمت هي الى خدمتهِ (لوقا ٢ : ٣٤) : « قد جُعلت . . . هدفًا للمخالفة »
ل . ر

AUSWAHL PSEUDODAVIDISCHER PSALMEN. Arabisch u. Deutsch, herausgegeben v. Ove Chr. Krarup. *Verlag v. G. E. C. Gad-Koebenhavn*, 1909, ٣٠-30.

زبور داود الاسلامي

بينما كنّا ساعين في نشر خطابنا الذي القيناه في مؤتمر كوبناغ عن بعض الكتب الدينيّة المنسوبة زورًا الى الاسفار المقدّسة والاناجيل واضفنا اليهِ قسمًا من المزامير المنسوبة من كَتَبة مسلمين الى داود نقلًا عن نسخة مكتبتنا الشرقيّة واثبتنا ذلك في مجموع مكتبنا الشرقيّ (ج ٤ ص ٣٣-٥٦) كان احد المستشرقين العلّامة كاروب معتنيًا بنشر بعض المزامير من هذا الزبور الاسلامي نقلًا عن نسخ اخرى اكتشفها ونقلها الى الالمانيّة ولما عرف بنشرنا ارسل الينا كتابهُ فقابلنا بين تأليفهِ وتأليفنا فتحقّقنا انّ النُسخ التي وقف عليها تخالف نسختنا لا بل قد اطّلعنا نحن ايضًا على نسخة ثانية من هذا الزبور فوجدناها مخالفة لهذه النصوص فاستدللنا من هذا التباين على انّ زبور داود المزعوم هو كتاب مصنوع وُضع بعد الهجرة واستفاد صاحبهُ من تآليف مزوّرة لليهود وغيرهم وادخل فيهِ بعض آيات مزامير النبي داوُد الصحيحة
ل . ش

شذرات

البرق والريحاني — سعى صاحب جريدة البرق بعَقد حفلة يودّع فيها الريحانيَّ اصدقاؤهُ قبل سفرهِ وما كنّا لنعترض على هذا العمل او نؤاخذ المحتفلين في شيءٍ لولا انَّ الخطباء اتَّخذوا ذاك المجتمع كفرصةٍ ليرشقونا بسهامهم بل يشرّفونا بلامهم. فذكرَ ضمنًا في ذاك النادي الشريف خطيبُ الماسونيَّة وشيخها الاخ ∴ اسكندر عازار وخرج اسنا من فيهِ مُطيَّبًا برائحة العرَق السَّاني اللذيذ فجملة «كالمازا». وذكرنا «بالخير» جناب الشيخ الاخ ∴ ابراهيم منذر فقابل بين «هذا» (اي الجبَّار الريحاني) «وذاك» (اي القَزَم الاب شيخو) فأكلناها «على السكت وعن بُعد» ولقد سعى صديقنا الشيخ اسكندر عازار ان ينشف دمعنا بان جعلنا «انسيكلوبيدا نقّالة» تعزيةً لنا عن فشل الحزب الاكليريكي بإزاء رجل عصرهِ ونسيج وحدهِ امين افندي الريحاني «مغضوب الجزويت» الذي ابى ان ينتظم في حزب «جزويت الروب كورت». العفو يا جناب الشيخ أَننا نضنُّ على ثوبنا فلا نريد ان يشينهُ الريحاني حتى ولو قُصر ذيلهُ فصار من جنس «الروب كورت» ولكن يعزُّ علينا ان نرى رجالًا ذوي عقل يعظّمون كاتبًا كالريحاني انكر وجود الله وجعل البشر «براذين» لا يعرفون شيئًا من امور خالقهم (راجع مقالاتنا السابقة في المشرق) جحد دينهُ جهارًا في كتابهِ المحالفة الثلاثيَّة فاستهزأ بكل اسرار الديانة المسيحيَّة كالثالوث الاقدس وتجسُّد المسيح وبتوليَّة العذراء التي يعتقدها كل النصارى حتى اخوتنا الروم كجناب الشيخ اسكندر عازار والشيخ ابراهيم منذر. تهكَّم بكل رؤساء الدين وتهدَّدهم بالسيف والنار. اطرأ في مجتمعهِ الاخير في بيروت المدارس اللادينيَّة وجعل اصلاح البلاد فيها افنكون تجاوزنا طورنا إنْ تصدَّينا لمثل هذا الرجل وقد امر السيّد المسيح ان نعتبر كوثني وعشّار من لم يسمع من الكنيسة؟ وان كان اصحاب الريحاني لا يقبلون شهادتنا فليسمعوا ما كتبهُ مهاجرو اميركة عن كتابهِ المحالفة الثلاثيَّة وهم مع ذلك ليسوا من «جزويت الروب كورت». وقس عليهم بقيَّة الادباء:

قال ضومط قاعور: من يكتب هذا يجب ان يُساق الى البيمارستان

قال نقولا عوض: كاتب هذا الكتاب يلزمهُ طبيب يفحص دماغهُ

فير المتمدين الفرائض ديانتهم الى متممّيها نسبة الواحد الى الثلاثة بل اقلّ لانّ الاحصاءات الاخيرة التي نقلها البشير حديثاً (١٤ أيار) تفيد انّ عدد المسيحيين ٥٣٦ مليوناً (الكاثوليك منهم ٣٠٠ مليون) وانّ المسلمين ١٧٥ مليوناً وربع. وما نعلمه اكيداً انّ الكثلكة في نموّ دائم وان نقص عددها في بعض الامكنة زاد في مكان آخر. وليراجع صاحب المقتبس مقالتنا في الكثلكة في اواخر القرن التاسع عشر (في المشرق ٤: ١٠٠٩ و١٠٨٧). ثم انّ في هذا الاحصاء ما لا يصدَّق كقوله عن ستّة ملايين ونصف كاثوليك في روسيا ضُعف ايمانهم فيقتضي ذلك بان يكون عدد الكاثوليك في روسيا نحو ٢٠ مليوناً وهذا لم يقل به احد وغير ذلك ممّا يبين لنا انّ الكاتب رمى الكلام على عواهنهِ امرهُ الله

❊ كتاب البابا الى ڤلتر ❊ قلنا في العدد السابق (ص ٣٩١) انّ الريحاني افترى على احد الاحبار الرومانيين اذ نسب اليه التحامل على الدين الاسلامي وقد وقفنا على صحّة الخبر في مجموع اعمال ڤلتر المطبوع في باريس سنة الثورة الفرنسويّة ١٧٩٢ ففي المجلّد الثالث منهُ تحرير خبر المراسلة التي جرت بينهُ وبين الحبر الاعظم بندكتوس الرابع عشر وذلك سنة ١٧٤٥ اذ كان ڤلتر لم يخلع بعد عذار دينهِ مجاهراً بالكفر فوضع روايتهُ الشعريّة المدعوّة بالتعصّب او محمّد النبي. فالريحاني بدلاً من ان يلوم ڤولتر صاحبهُ رفع حافرهُ على الحبر الاعظم وذلك لان البابا اجاب على رسالة ڤولتر شاكراً لهُ هديّتهُ بابسط ما يمكن رجلاً اديباً ان يجيب على اديب. وكان ڤلتر في رسالتهِ طعن في الاسلام فلم يُشر البابا الى كلامهِ البتّة. وهذا منطوق رسالتهِ الاصلي بالطليانيّة:

« Settimane sono ci fu presentato da sua parte la sua bellissima tragedia di Mahomet, la quale leggemmo con sommo piacere. Poi ci presentò il cardinale Passionei in di lei nome il suo eccellente poema di Fontenoy . . . »

وبقيّة الرسالة المكتوبة في ١٩ ايلول سنة ١٧٤٥ لا علاقة فيها مع الرواية. وهذا تعريب رسالة الحبر الاعظم:

« في هذا الاسبوع قد قدّموا لي من قبلكم رواية محمّد الجميلة التي القيتموها فقرأناها بغاية المسرّة. وقدّم لي باسمكم الكردينال پاسيوني قصيدتكم الغرّاء المؤلّفة في واقعة فونتناي . . . »

فهذا الذي عدَّهُ الجردون الكبير اهانةً للاسلام مع انَّ اسنانهُ لم تقرض ظفر ناظم هذه القصيدة وفي رسالهِ الى البابا تشنيع للاسلام ولصاحبهِ فانظر انصاف الرجل وخبثهُ

اسئلة واجوبة

س سألنا من صيدا جناب كاتبنا توما افندي كيّال أنعرف شيئاً عن كتاب الوساطة بين المتنبيّ وخصومهِ للقاضي ابي الحسن علي الجرجاني (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ١٠٠٢ م) فهل طُبع او يوجد منهُ نسخ في خزائن اوربَّة وغيرها

كتاب الوساطة

ج هذا الكتاب كان سابقاً مشهوراً بدليل ذكرهِ في يتيمة الدهر للثعالبي (ج ٣ ص ٢٣٨) وفي كشف الظنون للحاج خليفة (ج ٦ ص ٤٣٥ من طبعة لندن) اما نسخهُ المخطوطة فعزيزة جداً وقد راجعنا فهارس مخطوطات اوربَّة كلها وفهارس مصر والاستانة فلم نجد للكتاب ذكراً وانَّما سمعنا انَّ في الاستانة نسخةً منهُ و[illegible] ل انَّ احد ادباء صيداء حاصل على مثلها والله اعلم

س سأل احد خدمة النفوس ما هي قوانين الكنيسة بخصوص اشتراك الكاثوليك مع غير الكاثوليك في الدينيات وهل يجوز لكاهن كاثوليكي ان يسمح لغير كاثوليكي ان يقرأ في كنيسته للشعب او يرتّل او يخدم القدّاس وهل يجوز للكاثوليكيّ ان يعضد بمالهِ عملاً دينياً غير كاثوليكي كمدرسة او بناء كنيسة وغير ذلك او هل يستطيع الاسقف بسمح لهُ بذلك ؟

اشتراك الكاثوليك بالدينيَّات مع غير الكاثوليك

ج انَّ مبادئ اللاهوت الادبي واضحة في هذا الباب. لا يجوز مطلقاً للكاثوليك ان يشتركوا مع غير الكاثوليك بالدينيَّات وكذلك لا يجوز لهم ان يتخذوا لصلواتهم ورُتبهم الدينيَّة وخدمة القدَّاس احداً من غير الكاثوليك لأنَّ كل ذلك من شأنهِ ان يطبع في عقول المؤمنين انَّهُ ليس فرقٌ جوهري بين الكاثوليك وسواهم وهذا ضلال واضح وكذلك لا يجوز عضد ايّ عمل ديني كان وُضع لتعزيز ديانة غير كاثوليكيَّة ما لم تكن مشروعات خيريَّة ليس لها صَبغات دينيَّة. وعلى هذا البناء اجاب المجمع المقدَّس مراراً عديدة من سأله عن هذه المشاركات الدينيَّة فانكر جوازها ليس فقط كاحكام وضعيَّة يمكن تغييرها بل كاحكام راهنة مبنيَّة على اصول لاهوتيَّة مقرَّرة لا يختلف فيها اثنان ومن ثم لا يستطيع الاسقف ان يسمح بها

ل. ش